سعيدة حميد

عالم ... ليس لي

مجموعة قصصية

عالم ليس لي

مجموعة قصصية

سعيدة حميد

العنوان : عالم ليس لي
الكاتب : سعيدة حميد
النوع : مجموعة قصصية
رقم الإيداع :
الناشر :
العنوان :
الهاتف :

إهداء

إلى كل روح فقدتها وتركت في جرحا لا يندمل.

كلمة شكر

إلى كل الذين جعلوا من الكلمة معولا لدك معاقل خفافيش الظلام وتعرية خرافاتهم.

إلى الذين حاربوا و لا زالوا ، حين استعصم الآخرون بالصمت وغازلوا هوى القطيع المثخن بالهوس والمشبع بالوهم .

إلى الذين يرفعون شعارات الحياة في مجتمع يجهض الفرح ويتغنى بالموت.

إلى الذين يرفعون أصواتهم ضد ضرب كل المكاسب التي تحققت للمرأة ،لأجل إعادتها للحجر وبيت الطاعة

إلى كل الذين شجعوني ودعموني من قريب أو من بعيد على خوض تجربة الكتابة .

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة مجهوداتي المتواضعة ،وأقول لهؤلاء ولأولئك ،شكرا ، ودمتم بفكركم المستنير ، منارة تهتدي بها العقول المنفتحة على الحداثة وقبول الاختلاف الحالمة بالتغيير، وشمعة يزعج ضوؤها كل فاسد مستبد.

تقديم...

لماذا عالم ...ليس لي ؟

عالم ...ليس لي ، هي مجموعة قصصية ،تتناول فكرة وجود عوالم متعددة و موازية ، تمثل صراع المتناقضات ، يتداخل فيها الواقع بالخيال ....

مجموعة قصصية تعكس صراعات داخلية وخارجية ، تعيشها شخصيات، تعاني من تناقضات عميقة ،وحالة من الغربة و الانفصال عن الواقع ...هذا الصراع - بين ما ترغب في تحقيقه وبين ما يعوقها - ، يبرز رغبتها في الهروب أحيانا ، وكسر القيود ، من أجل الانطلاق نحو عالم أكثر رحابة وأكثر احتواء وحرية.

إن القصص في "عالم .. ليس لي"، تظهر كيف تتشابك هذه التناقضات والصراعات في حياة الشخصيات ، فتعكس لنا واقعا معقدا يتطلب التأمل والفهم والتساؤل...

" عالم ...ليس لي" ،ليس مجرد سرد لحكايات ...فكل قصة ،تمثل نافذة تطل على تجارب إنسانية غنية ، تحمل في طياتها مشاعر الحب والفقد والأمل والخذلان والصدق والخيانة...

إنها محاولة للدخوال إلى أعماق النفس البشرية لإظهار جمال التباين بين ما نريده كطموح فردي وكرغبات شخصية ،وبين الواقع وما يفرضه من قيود اجتماعية، بين الحلم والواقع ...بين الخير والشر ،كما أنها دعوة إلى التساؤل عن مفاهيم كالانتماء والاغتراب والهوية والأخلاق والقيم، وفي كل ما يجعلنا نشعر أننا في عالمنا أو خارج نطاقه ...

نأمل أن يجد القارىء بين صفحات "عالم ...ليس لي"، مايعكس مشاعره وتجاربه وطموحاته وانتظاراته، ويساهم في فتح آفاق جديدة للتفكير ...

سعيدة حميد

عشيقة شرعية .

كان على موعد مع القناة لتسجيل حصة من برنامجه الأسبوعي "في رحاب الأيمان " استفاق ظهرا بعد قضاء ليلة من الذكر في حضرة كبار الشيوخ والدعاة والمريدين...

حرص قبل الخروج من قصره الفاخر أن يكون بمظهر يليق بالبرنامج ...تأكد من ظهور طابع الأيمان على جبهته ...زادها قليلا من اللون الأسود ...حرص أن يلبس أغلى الماركات العالمية وتعطر بأرقى العطور الباريزية ،وضع ساعته الرولكس دون أن ينسى السبحة الزمردية التي يزين بها يده و تزيده قبولا وتقديرا و هيبة ...ركب سيارة آخر موديل وأشار إلى السائق بأن يسرع لأن وقت البرنامج أوشك أن يبدأ ...مرت الحلقة كالعادة في جو من الإيمان والوعظ والإرشاد تأكد... من ارتفاع عدد متابعيه فانفرجت أسارير وجهه واطمأن إلى أنه في الطريق الصحيح ... خرج من القناة وهو يفكر في موضوع آخر يدغدغ المشاعر أكثر ويضمن ارتفاع نسبة المشاهدة وعدد المتابعين ... أمر السائق أن يعرج على النادي حيث يتواصل مع محبيه ومريديه مباشرة وفي نيته أن يلتقي بفاتن ...فاتن التي فتنته وعقد العزم على ضمها لحريمه ليتم العدد حسب الشرع ..رأته فاتن فأقبلت عليه بكل وقار وحياء فامرها بالجلوس

...يسرق النظرات من تحت نظارته ."..إنها لي بإذن الله وعلى سنة الله ورسوله ..."

تواصلت اللقاءات وقرر الشيخ أن يرتبط بها على سنة الله ورسوله ...فرحت فاتن ووافقت دون تردد ...إنه حلم كل فتاة مؤمنة متخلقة ...أغدق عليها من المال ماتشتهي ووعدها بحياة لم تحلم بها ...مر كل شيءكما أراد الشيخ وكما حلمت فاتن ...وتم عقد القران ...إنه يوم سعدها أن تكون قرينته التي يبحث عنها ...أخذها إلى شقتها وقضى الليلة بجانبها ...ثم غادرها صباحا ...اتصلت لتطمئن عليه ففوجئت به وهو يخبرها أنه عند أم الأولاد ... لم تصدق الخبر " ..أنت متزوج؟" قالت و قد أربكتها الدهشة، ثم .أكدت على حضوره الليلة لمناقشة الموضوع، لكنه أنهى المكالمة ... عليك أن تنتظري دورك ...ظلت فاتن حبيسة الدار بين خدم يراقبون تحركاتها واتصالاتها وحراس خارج المنزل تحت خدمتها... شعرت فاتن بالخيانة فقد كانت تظن أنها حبه الوحيد ...شعرت بأنها عصفور أحضروه إلى قفص من ذهب...بدأت تضيق جدرانه ويتلوث هواؤه ...بكت كثيرا وشعرت أنها مجرد ضرة ،فقررت أن تطلب الطلاق ... " إنه لن يرفض ذلك فهو شيخ سمح وأخلاقه لن تسمح بإبقائي معه دون رغبتي... "

فوجيء الشيخ أبو علاء بقرار فاتن فغضب منها كثيرا وقرر معاقبتها ...فغادر البيت ...حملت حقيبتها وقررت مغادرة البيت دون إذنه لكن الحراس منعوها ..."كيف يمنعني من الخروج ؟ هل أنا سجينة هنا أم زوجة ؟" قصدت إحدى الخادمات تطلب معرفة شيء عنه فصدمتها أخباره .."أنت لست الأولى التي تدخل هذا البيت سيدتي ...قبل أيام فقط طلق نوال".." من نوال ؟ " إحدى زوجاته " " وهل كانت هناك زيجات أخريات ،؟ " " اهووووه....كثيرات سيدتي... سيدي أبو علاء لا يحب إلا زوجته أم علاء ،ابنة عمه ،أول حبه و أولى زوجاته "..."و طبعا كان مصيرهن الطلاق ، لفظهن كما تلفظ النواة" ... " نعم ،كلهن طلقهن بعد أن انتهت رغبته منهن "...قالت وهي تضحك ."انهن مجرد عشيقات شرعيات "..."ماذا ؟ عشيقات شرعيات ؟ ...هل أنا مجرد عشيقة شرعية ؟ " " لست وحدك سيدتي ،هناك أخريات ، كل واحدة في قفصها الذهبي ... "

أحست فاتن بخيبة كبيرة ...تهاوت كل أحلامها أمام قوة وبشاعة هذه الكلمة...

بعد أيام عاد الشيخ إلى زوجته تحقيقا للعدالة ...لم تهتم به فاتن ولم تبد استعدادا ولا قبولا ولا فرحا بحضوره ...لكنه أبدى رغبته في أخذ حقوقه كاملة رغما عنها ...زادت فاتن ثقة أن

زواجه منها لم يكن إلا نزوة وسيتخلص منها قريبا..فقررت الطلاق ... سألها بكل برودة عن سبب طلبها الطلاق ...
"لم أبخل عليك بشيء ...كل طلباتك تحضرك لا ينقصك شيء..حققت لك كل ما طلبت و أكثر ".. "لكنك لم تخبرني أنك متزوج ، أشعر أنني مجرد عشيقة" ... ابتسم بخبث ليطمئنها "لكنك عشيقة شرعية وهذا مهم...نحن لا نفعل حراما ...كله على سنة الله ورسوله "...وأنا لا أريد أن أكون مجرد عشيقة شرعية" ..."لا يهم ما تريدينه انت ...ماعاد قرار البقاء أو الانفصال بيدك ..لن تغادري هذا البيت إلا حين أريد أنا (دخول الحمام ماشي بحال خروجو)"

سقط القناع

هي...استيقظت هذا الصباح على غير عادتها ...رأسها مثقل ببقايا ليلة متعبة ، لبثت وقتا ممددة على السرير...

رفعت بصرها نحو السقف فبدا لها بعيدا وعليه تراءت بعض الصور كأنها لوجوه مألوفة ،وجوه حبيسة ذلك السقف ...ابتسمت لها وبادلتها الابتسامة ...تبادلوا حديثا...بدا انسجامهم واضحا ...خالت للحظة أنها بين تلك الوجوه البريئة ،يرسمون عالما خاصا من السعادة ...مرت لحظات طويلة وهي تحملق في السقف العالي وفي الوجوه التي تتشكل وتتغير كلما أطالت النظر إليها .. شعرت بشيء غريب يربطها بذلك السقف وبتلك الوجوه...

حولت بصرها جهة الساعة الحائطية ..."إنها الثامنة ...علي أن أنهض من فراشي لأبدأ روتيني اليومي... "

هو ...جالس على كرسي وحده بأحد المقاهي وعلى الطاولة هاتفه الذي لا يفارقه وجريدة يتصفح أوراقها، يبحث بين أحداثها عن موضوع لتدوينة على الفيس بوك ...اتصل به صديق ليعرض عليه رحلة الى خارج المدينة ...توقف قليلا ليتأكد أن لا ارتباطات لديه ثم رد مرحبا بالفكرة، فقررا موعدا ...قام بسرعة من مكانه ...حمل الجريدة ...أخذ رشفة أخيرة من

القهوة ...ركب السيارة وانطلق...في الطريق ،تذكر أن يسحب بعض النقود لزوم الرحلة ...توقف عند أقرب شباك ...أخرج من جيبه بطاقته البنكية ...وحدد المبلغ ... "تبا الرصيد غير كاف ..ما العمل؟ ...لن أفوت الرحلة" ... فكر قليلا .ثم أخذ بطاقة أخرى هي لزوجته ..سحب مبلغا ..وكان هذه المرة أكبر مما طلبه سابقا ..."لابأس ...نحن واحد..."

وفي طريق العودة ،عرج على بائع الهواتف ...عرض عليه مجموعة منها .إلا أن اختياره استقر على واحد ، بمميزات خاصة كان دائما يحلم أن يشتريه لكن ثمنه كان فوق طاقته ...دفع ثمنه ،وانصرف .... عاد إلى البيت تسبقه ملامح وجهه العابس، ليبعد كعادته أي نقاش فيما هو مقبل عليه ...استقبلته مبتسمة كعادتها ...لكنه دلف إلى الغرفة وجلس على حافة السرير منهمكا بالهاتف ...جلست بالقرب منه وسألته"-. ماذا حدث؟. ..لم عدت بهذا العبوس ؟..."

لم يجبها ..لكنه مد لها هاتفا وقال..

"-خذي ..هذا هاتفي ...استعمليه ... انا اشتريت آخر".

..أخذت الهاتف بين يدها مبتسمة وسألته...

"-نحن لازلنا في منتصف الشهر ...كيف دفعت ثمنه ؟...هل ال"... وقبل أن تنهي كلامها ،قال.:

"-لالا ...أنا اضطررت لسحب النقود من حسابك...رصيدي غير كاف وكان لابد أن أشتري هاتفا لأنني سأرافق أصدقائي في رحلة و سأحتاجه لآخذ صورا تذكارية... "

"-وماذا عنا نحن ؟...ألم نتفق على السفر إلى تطوان ؟.

"-لا لا ...سنؤجلها إلى فرصة أخرى.. "

ثم قام من مكانه ...أخذت تقلب الهاتف بين يديها ..وسألته ساخرة من نفسها "-..ماذا سأفعل بهذا الهاتف ؟،أنا لم يسبق أن استعملت هاتفا ذكيا ولا أعرف كيف أضع حسابا فيسبوكيا ولا واتس اب ؟ "

التفت إليها مذعورا وانتزع الهاتف من بين يديها ،وأعاده إلى جيبه ...وقال بلهجة الغاضب:

"-أي فيس بوك وأي واتس اب ؟...أنا أعطيتك إياه للمكالمات فقط ، ...استعملي هاتفك ذاك . انتهينا". ...وهم بالخروج حاسما الأمر..لكنها استوقفته ...وقالت بلهجة غريبة وحازمة.

"-ولكن أنا أيضا أريد هاتفا كالذي اشتريته من مالي الخاص " ...وخرجت من الغرفة متجهة إلى المطبخ لتنهي ما تبقى من العمل ..إلا أنه تبعها وهو يصرخ غير راض عما سمعه ،مستغربا لهجتها في الحديث معه.

"-ماذا تقصدين بمالك الخاص؟... "

"-لا أقصد شيئا ..فقط أريد هاتفا وحسابا فيسبوكيا خاصا بي "

"-هل جننت؟ ...ألم نتفق ألا شيء من هذا سيحدث ؟...هذا الذي كان ينقصني...!

التفتت اليه متجهمة وسألته..

"-أليس لديك حساب خاص ؟...

"-بلى..

"-وما يمنعني أنا من أن يكون لدي حساب خاص؟ ...ثم انسحبت إلى غرفة الجلوس بعد أن أشارت إليه بكفيها ليفسح الطريق...جلست تتابع وصفة طبخ على إحدى القنوات ...جلس بالقرب منها وهو يحاول تلطيف الأجواء...

"-أنت تعرفين أن موضوع الفيس بوك لا يريحني." قاطعته قائلة :" لكنك تستعمله ".. " نعم ،لانني احتاجه لانشر فيه مقالاتي واشعاري ...لدي متابعون كثر ...ولكن انت فيم ستحتاجين هذا الفيسبوك ؟ لا اهتمامات لديك ...لكن لاباس ... إن كنت تصرين على ذلك ،خذي هاتفي وحسابي الخاص، لا مانع عندي أن تطلعي على ما أنشره وما ينشره بعض أصدقائي ،او اطلعي على بعض صفحات الطبخ ،قد تفيدك ...لكن لا تفكري بحساب خاص".

شعرت لحظتها ان شيئا ما بداخلها انكسر...أن شرخا كبيرا أصاب عمقها ...أن هذا الذي يجلس بجانبها شخص يملأه الفراغ...ثم نظرت إليه نظرة أشعرته كم بدا صغيرا أمام عينيها

...أشعرته ان جدارا سميكا حال بينهما لن يقوى يوما على هدمه أو تجاوزه... وشعر هو أن وجهه الحقيقي أخيرا انكشف بعد أن أسقطت عنه القناع ...أخذ يحاول شرح موقفه ، ونسي أنه لا يزيد إلا في تعميق الهوة بينهما ..

"-انت لا تعرفين ماذا يحدث بسبب الفيس بوك والواتس اب ...كل المصائب والفضائح سببها هذه المواقع ...انت لا تعرفين شيئا ...لهذا أريدك أن تظلي بعيدة وتنسي هذه الفكرة "

ساد صمت رهيب للحظات ...استعادت فيها الكثير من المواقف التي كان ينبغي أن تسقط فيها قناعه وتكشف وجهه الحقيقي...سألت نفسها .."هل كان ضروريا أن أنتظر هذا الحادث البسيط لأكتشف كذبة كبرى كالاستقرار وخدعة الحب الذي ظل يوهمني به سنوات ؟ ...هل كان ضروريا أن أعيش في الظل حتى تستمر علاقتنا؟ ...كيف سمحت له أن يلغيني ؟...هل هذا هو الشخص الذي اخترته من بين الجميع لمبادئه و أفكاره التحرريه؟...هل هذا هو الشخص الذي يظل يوهم الجميع بانه يناضل ويموت لأجل الحرية والعدالة والمساواة؟ ...لماذا يمنعني من حقي في استعمال هاتف ذكي بينما هو لا يستطيع الاستغناء عنه؟...

أسئلة كثيرة لمواقف أكثر طفت وضج بها رأسها ولابد لها من إجابة ...ابتسمت في وجهه ابتسامة ساخرة وقالت في نفسها:

"-ما الفرق بيني وبين تلك الوجوه الحبيسة على ذلك السقف إذن ؟...لا فرق... "

نهضت من مكانها مثقلة الخطى يمزقنها انكسارها أمام الحقيقة التي عراها هذا الموقف البسيط ...حملت وجعها وانسحبت ...تركته يفكر في نهايات للأمر كعادته ، ثم اتجهت نحو غرفتها تستعد للخروج ..."لكن إلى أين ؟"..." لا اعرف ... ولا أريد أن أعرف ...فقد أجد في الخارج كل الإجابات التي قد تحررني ، فلا أظل حبيسة كتلك الصور على ذلك السقف"

اقترب موعد الزفاف وبدأ التوتر يزداد على شهرزاد ...كلما تذكرت كيف عاشت امها العذاب والتهميش والخذلان ،تضيق نفسها حد الاختناق ...يرهبها ان يكون كمال بنفس طباع والدها ..لاتريد ان تعيش مأساة امها ...

تأملت صورتها المعكوسة على المرآة ... انها مملوءة بالمعاناة والحزن ،تكشف ملامحها الباهتة حجم الصراع الذي بداخلها ...كل شيء فيها انطفأ الا روحا لازالت تقاوم و عينين متقدتين ترميان الى حلم بعيد و هدف واحد ...لا تريد التضحية بحياتها ارضاء لأحد...همست تخاطب صورتها الخائفة المترددة ": هيييه ياشهرزاد ،لم يبق امامك الا خيارين ،اما ان تثوري في وجه ابيك وتتحدي قراره لتجدي شهرزادك المفقودة او تكونين مجرد وجه من وجوه كثيرة، وجه لا ملامح له، يضيع في سلطة القهر والذل ...المستقبل الذي رسمته في خيالك منذ زمن لا علاقة له بما سيحدث بعد ايام...

كانت شهرزاد قد حصلت على شهادتها الجامعية بوجدة ،وقررت العودة الى قريتها ، الى احدى قرى الناظور البعيدة ... شهرزاد تعرف جيدا طبيعة الحياة في ذلك الجزء المنسي من

الوطن ، وسط اسرة ينعدم فيها الفرح والامان ...لقد عاشت فترة اليمة اثناء مرض امها بالسرطان ...لم يؤلمها انها ماتت بعد صراع طويل مع المرض، ولكن آلمها خذلان الزوج لها رغم التضحيات الكثيرة التي قدمتها لاسرتها ، اذ فور علمه بمرضها تركها وتزوج اخرى واحضرها الى البيت دون مراعاة لمشاعرها ، وقد زادها هذا قهرا ليستفحل المرض وتموت...

ظلت مآسي الام و وحشية الاب غصة في حلق شهرزاد ... تكبر ويكبر معها المها وخوفها ...يعطلان كل خطواتها نحو حياة سليمة ...اسيرة هذا الوجع والخوف ...تتمنى ان تتعافى وتتلون حياتها بألوان الحياة ،...فرحت كثيرا حين تحقق حلمها ...حلم الوظيفة التي تضمن لها استقلالها المادي ... تم تعيينها بإحدى قرى ورزازات ...فرحت أكثر لانها ستبتعد اخيرا عن اسرتها وعن هذا الوجع الذي صار يخنق انفاسها ... ستكسر ذلك الطوق الذي لم تختره يوما ولا تلك الاساور التي لم تزين يديها ابدا ...ورزازات بعيدة ! لا يهم ،هذا افضل لي... !

رفض الاب بشدة خروج شهرزاد الى العمل في مدينة بعيدة ، مثلما كان قد عارض سفرها لاتمام دراستها الجامعية لولا تدخل اخوالها فوافق مرغما ... ،وحسم قراره بأن يزوجها لاول من يطرق الباب طالبا يدها ..لم تكن شهرزاد تملك الحق لترفض قرارات ابيها ...كيف ترفض وهو المتسلط الذي اذاق امها

وعماتها مر العذاب ..لكن قرار اليوم كان النقطة التي افاضت كل كؤوس الالم ..
كانت شهرزاد تتجنب كل ارتباط قد يعيد الى حياتها مأساة امها ...تمر السنوات وتكبر شهرزاد ويكبر الخوف ويحفر جذوره بداخلها... اليوم تقف عاجزة امام هذا القرار المجحف ..."متى يتم الافراج عني يا الله..؟ الى متى سيظل يلاحقني ظلهم وتخنقني قبضتهم ؟... "
تقدم الى خطبتها احد شبان القرية الميسورين ... لم يكن في مقدورها ان ترفض ...دفعتها زوجة الاب لتوافق ، فقد يكون رحمة لها ويخرجها من ذلك الجحيم الذي صار يذيبها يوما بعد يوم...
اشتد الخناق على شهرزاد ... كم كان يروعها منظر امها وخالاتها وعماتها وهن يتعرضن لشتى انواع الاهانات واحيانا الضرب، ويحرمن من ابسط حقوقهن ...لازال يرعبها منظر عمتها صفية وهي تبكي لتزف صغيرة الى احد شيوخ القرية في موكب اليم تقشعر له الابدان ... ولا زالت بين عينيها صورة صديقتها وهي متدلية من سقف غرفتها ميتة لان اباها رفض تزويجها بمن اختاره قلبها وعشقته ، وفضل تزويجها بابن عمها حفاظا على ميراث العائلة ،وتلك التي قتلت باسم جرائم الشرف والاخرى التي ماتت وهي تضع مولودها بالدار لان زوجها رفض

ان تكشف على طبيب القرية .وغيرهن كثيرات ممن ظل اختفاؤهن يلفه الغموض ..."لن اعيش حياة امي ولا حياة عمتي ولا حياة كل النساء اللواتي عانين في قريتي ...لا اريد ان انهي حياتي مع رجل لا يراني الا جسدا لإمتاعه ولرحم يحمل ابناءه ...لن اعيش حياتي كلها لهم وانتهي في ركن منسية حتى الموت اذا الضعف يوما رماني وهزمني ...ارفض ان اعيش تحت ظل رجل يهين انسانيتي ويذلني تحت اي مسمى، ثم ينتظر مني الطاعة والمودة ...لن امنحكم فرصة لتقتلوني وانا على قيد الحياة ..حياتي ملكي ولا حق لأحد ان يستعبدني او ينتزع هذا الحق مني..."

ظلت شهرزاد تحمل بذاكرتها هذه الصور الاليمة وهذا الحزن الذي غرس مخالبه في مخيلتها وابى ان يفارقها ...احست بالرعب يدب في جسدها ...اسرعت الى مذكرتها ثم نزعت منها ورقة كتبت عليها بضع كلمات ثم وضعتها على منضدة سريرها.

هدأ توترها قليلا واستعاد وجهها اشراقته وبسمته....لاول مرة يغمر روحها المكلومة المضطربة السلام والسكينة ...نظرت الى ساعتها ثم اخذت نفسا عميقا و قالت: " اليوم ستبدأين رحلتك نحو حياة جديدة ياشهرزاد ،ستبدأين صراعا آخر مع وجوه اخرى ابشع واظلم ،فانزعي عنك ثوب التردد والخوف ولا تسمحي لاحد بان يقف في وجهك او يعبث بحياتك ".

كل سكان القرية كانوا على موعد مع الفرح اليوم ...انطلقت الزغاريد وهب الجميع الى الساحة حيث تجمعوا للاحتفال بالعروسين...طرقت زوجة الاب وبعض صديقاتها باب غرفتها يستعجلنها الخروج لمرافقتها الى منصة العروسين ...فتحت باب الغرفة ..لا اثر لشهرزاد ...فقط ورقة كتب عليها: "سامحني يا ابي .. لقد رحلت بعيدا ،أنا لا زلت احمل في ذاكرتي عذابي وعذاب امي ونحن تحت ظلك ...روحي عليلة مثقلة بالألم...اريد ان اتعافى ، لا ان اعيش بقية حياتي اتعذب تحت ظل آخر"

الحقيقة الغائبة.

عاد إلى البيت على غير عادته تشع من وجهه فرحة أثارت فضولها ..."ترى ماذا وراء هذه الفرحة وهذه الابتسامة؟ ليست من عادتك يا كمال" ... حدثتها نفسها أن كمال يخطط لموضوع مريب ،

فتظاهرت أنها لم تهتم ولم تلاحظ ذلك التغيير المفاجىء... سألها:

"-حبيبتي، ماذا لديك نهاية هذا الأسبوع ؟ أنا مدعو لحفل زفاف صديقي جمال ...وعدته أنني سأحضر ويرغب كثيرا في حضورك ..وهأنا أخبرك برغبته ولك أن تقرري . إن وافقت أن ترافقيني ، سأكون ممتنا "... "

قبل أن ينزل كمال و هدى من السيارة كان جمال بانتظارهما ،.بدا جذابا في بذلته الرمادية أنيقا يلفت الانتباه ...وعلى باب القاعة بعض المكلفين باستقبال المدعوين ..استقبلهما بالترحاب وعلى ايقاع الدقة المراكشية ، ممتنا لتشريفهما حفل زفافه ،ثم أخذ يفسح لهما الطريق ليدخلا القاعة ويأخذا مكانهما ...بدت القاعة فاخرة ...كل شيء منظم ..... الطاولات وضعت بعناية وزينت بذوق رفيع ...الموسيقى راقية ،ليس هناك مدعون كثر...وما هي إلا لحظات حتى

انتبه الجميع إلى فوضى خارج القاعة ..إنه صراخ فتاة منعت من الدخول ...أثارها تصرف المسؤولين في الاستقبال ،فاستدعى تدخل أهل العريس ... إنها فتاة تضج بالأنوثة ...دخلت وهي تتهادى بغنج ودلال ورقة تلهب جوارح الناظرين ...ترمي بشعرها المنسدل يمينا وشمالا كأنها تشعل رغبتهم فيها أكثر ... تقتحم قلوب كل الحاضرين وتدفع بالنساء إلى القلق على أزواجهن ...إنها تتقدم نحو طاولة كمال وهدى ...ابتسمت لها هدى لكنها مالت جهة كمال...بدا عليه الارتباك وأخذ ينظر إلى زوجته ، متجاهلا لها ، وعيناه على هدى ينتظر ردة فعلها تجاه هذا التصرف...فجأة ودون اعتبار لزوجته ،أمسكت بذراعه وهي تأمره أن يصحبها: "أريد ان أكلمك ، الآن"...تظاهر كمال بالإحراج ...فقد ترفض هدى تصرفها وتثير مشكلة في القاعة ..لكن هدى ظلت صامتة تتابع حركات الفتاة مع زوجها دون أن تبدي اعتراضا ... بل أكثر من ذلك طلبت من زوجها أن يرافقها حتى لا تثير مشاكل فيفسد الحفل...

اندهش كمال من برود زوجته وتجاهلها للأمر أشعره ذلك بالإهانة والحرج أمام الحاضرين...

كل الأنظار تتابعهما وهما يغادران القاعة ... تتأبط ذراعه دون خجل أو احترام لزوجته ...تفجر ضحكات مثيرة كلما وشوشها ...

وأمام دهشة الجميع و تصريحات البعض المستفزة لهدى ، أسرع إليها جمال و أبدى أسفه على هذا الموقف ... لكنها ابتسمت وطلبت ألا يهتم وأن الأمر لا يقلقها ...حاول أن يثير غيرتها ويستفز صمتها وهدوءها فأخبرها أنه يرفض بشدة ما قام به كمال بحضورها وأمام انظار الجميع

وصار يثني عليها لأنها تفهمت الأمر وسيطرت على غضبها..

... نظرت إليه وعلى شفتيها ابتسامة ثقة غريبة ....ثم قالت : "لا تقلق بهذا الأمر ،اهتم أنت بضيوفك وحاول أن يمر الحفل دون مشاكل.."

لم يقنعه رد فعلها فعاد لإثارتها من جديد بتصريحات أكثر استفزازا:

" هذا العنيد يوما ما سيدمر بيته بتصرفاته هذه ...كم مرة حذرته منها وأخبرته أنها تحبه ولن تتركه حتى تأخذه منك، وأنت هكذا تقدمين لها زوجك على طبق من ذهب ..قومي واسعيدي زوجك.."

"لم تصر على أنها ستأخذه مني ؟ ماهذا الكلام الذي أسمعه ؟ ربما هو يريدها ويلاحقها أو يكون وعدها بشيء والآن يتهرب منها ..لم تلقي اللوم عليها دائما؟ هي الآن تتصرف بحكم علاقتهما فقط . "

..بدأ الحاضرون يلتفون حولها ليثيروها أكثر ، لكنها استوقفتهم جميعا وطلبت منهم أن يعودوا إلى أماكنهم وأن يستمتعوا بالحفل، فالأمر عائلي ولا يخصهم.

تكررت محاولات جمال وكمال في إشعال نار الغيرة بقلب هدى حتى تحدث المواجهة بين الزوجين والفتاة ، لكنها في كل مرة تخيب ،ويخيب أمل كمال في أن يعيش نشوة التباهى أمام أصدقائه ومعارفه بغيرة زوجته عليه و حبها الشديد له ... اذ ظلت في كل محاولة محتفظة بهدوئها متجاهلة لهم ، تتابع الحفل باهتمام....

هنا ،عاد كمال بوجه خائب، ليصفق الجميع بانتهاء التمثيلية..والتفوا حولها وهم يضحكون و يرددون" إنه مقلب ،إنه مقلب..."

اقترب منها عابس الوجه ثم انحنى نحوها ليقول : "أفسدت الحلقة ببرودك وهدوئك...أحرجتني أمام الجميع."

"-أحرجتك ؟ ..

"-نعم ...كان الجميع ينتظر أن تستعر الحلقة بسبب غيرتك ،لكنك بدل أن تصارعي لتستردي زوجك وتحمي حبك ، بدأت تدافعين عنها ... "

وحتى تعيد إليه بعضا مما تبعثر من كبريائه ،أبدت للجميع غيرتها الشديدة على زوجها وأن ثقتها به لاحدود لها ، ولولا

هذه الثقة لكان لها تصرف آخر ...عندها ضحك الجميع وصفقوا على فشل المقلب.

حل صمت رهيب بينهما وهما عائدان إلى البيت لقد بعثرتهما هذه التمثيلية وزادت من تعميق الهوة بينهما ومن امتداد مساحة الصمت الرهيب الذي اكتسح حياتهما ،فجأة كسر كمال هذا الصمت ليخبرها انهم كانوا يعدون لهذه الحلقة منذ أيام وأن الكل راهن على أنها ستكون عنيفة ..ثم اضاف بشيء من الحسرة: -"كنا نظن أن غيرتك على زوجك ستشعل القاعة وستكون مواجهة عنيفة بينك وبين فتاة زوجك...لكن ردة فعلك صدمتني كما صدمت الجميع ...ماذا سيقولون عني الآن بعد موقفك البارد ذاك؟... "

"-ماحدث اليوم لم يكن مقلبا يا كمال ،بل فجر حقيقة ينبغي أن ندركها نحن الاثنين..."

"-ماذا تقصدين ؟"

"-المقلب الحقيقي هو ما كنا نعيشه قبل اليوم...صحيح أن مقلب اليوم

كان فاشلا ،لكنه نجح في كشف الحقيقة ، حقيقة الصمت الطويل الذي يزداد عمقا وامتدادا كلما حاولنا أن نبدو أكثر سعادة واتزانا ...حقيقة أن طريقنا ليست واحدة وأننا لن نلتقي أبدا ... هذا المقلب هو حقيقتنا .. ثم عادا إلى الصمت من جديد.

رقصة الموت الأخيرة .

مرت السنوات بطيئة كئيبة بعد وفاة زوجته منذ خمس سنوات ، في ذلك الحادث الأليم ... عاش فؤاد مرارة أيامها وثقلها على نفسه دون أن يُشعر أحدا ممن حوله ... فقد أجمعوا على أن السي فؤاد هو مثال للزوج الأصيل الذي راعى سنين العشرة، إذ ظل وفيا لزوجته في مماتها كما في حياتها ...كما عاش وفيا لرجل من شمع ، صنعوه له وسجنوه بداخله ...وفيا لصورة لم تعكس يوما حقيقته ...ظل وفيا لكل تصوراتهم ورغباتهم ونسي مع الأيام أن يعيش لنفسه ولحقيقته ...

اليوم سيجتمع الأبناء والأحفاد ككل يوم جمعة ليقضوا معه اليوم كله ...اليوم سيعرف البيت حياة وستملؤه الضحكة والحركة ،ستعود إليه الحياة وسيعيش السي فؤاد تلك اللحظات كأنها الأولى والأخيرة ،لم يدر أن كانت كفيلة بتبديد ألم الوحدة التي يعيشها طول أيام الأسبوع...

كل شيء جاهز على طاولة الغذاء ... عيناه لا تفارقان عقارب الساعة ...يتأكد من أن كل شيء جاهز ومعد حسب رغبات كل واحد منهم ..."هذا طبق الأرز الذي يحبه مهدي وهذا طبق الخضر المحشوة باللحم المفروم الذي يحبه سامي ...اااه ..نسيت زهرة ومريم ...لابأس ساحضر وجبتهما حالا ...وأنت أيها

الشقي آدم ..متى ستريح معدتك من الأكل الجاهز ؟ مابه طبخ جدك ؟ انظر ماذا حضرت لك اليوم..ستحسدك ريم ومنال ولن أسلم من عتابهما وشكواهما"

رن الهاتف ..إنها زهرة تعتذر عن الحضور لأن زوجها دعاهم إلى رحلة خارج المدينة ...صمت قليلا ثم قال بخيبة :"لابأس ...لابأس." تحلق الجميع حول المائدة ...تبادلوا الأخبار من هنا وهناك ...استمتعوا جميعا بلحظات ممتعة مرحة ...وقبل أن يغادروا ،أسرعت مريم إلى كيس فأخرجت جلبابا وبلغة وقدمته لوالدها وهي تعدد مزاياه وأنه سيبدو مختلفا حين يلبسه "... هذا الجلباب سيزيدك هيبة ووقارا ... انظر انه اللون المفضل لديك ..أليس كذلك ؟ " تسلم منها الجلباب و قبل رأسها شاكرا وهو يقول ..."خزانتي فيها من الجلابيب ما يكفي عمرا آخر يا ابنتي ... أنت تعرفين أنني لا أجد راحتي إلا في هذا اللباس وهذا اللون ..فلم تصرون على أن أغيره وأنتم تعرفون أنني لا أحب غيره ؟ "

"..لقد مضى زمان هذا يا أبي ، أنت الآن كبرت ما عاد يناسبك هذا النوع من الآلبسة ... صار الجلباب يليق بك أكثر مناسب لعمرك و هو الأنسب للذهاب إلى االمسجد... ااه نسيت أن أخبركم...هل تتذكرون جارنا القديم ؟ علمت أنه تزوج ولم تكمل زوجته الأربعين" ...أبدت مريم استياءها حول الموضوع و

كيف كانت صدمتها أكبر حين علمت أن أبناءه هم من تكلفوا بتزويجه ...فهي لم تتوقع منهم ذلك خاصة وأنه لم يمر على وفاة أمهم العام ؟" ... أكيد فعلوا ذلك حتى يتخلصوا من مسؤولياتهم تجاهه "

وحتى تؤكد له أنه لن يحتاج إلى من يهتم به أسرعت إلى ياقة قميصه لتتفقدها وهرولت لتجلب له قميصا آخر أنظف...ثم عادت إلى حديثها ..لم تدخر وسعا في أن تبين لهم فضاعة ما فعله جارهم ، فماكان يليق بعجوز مثله أن يتزوج ... لقد صار حديث الناس ومحل سخريتهم... قالت في غضب :"تنكر لزوجته التي ضحت معه وتنكر لأيامها ،وهاهو اليوم يعيش حياته وكأنها لم تكن يوما..اااه من الرجال !!". ... قال معاتبا " لكنه لم يفعل ما يعيب ..لقد تزوج على سنة الله ورسوله " ...ثم قام من مكانه ليذهب إلى الشرفة يشعل سيجارة متجاهلا ردات فعلها...انتبهت مريم إلى تغير مزاجه وتغير نبرة صوته وهو يعقب على كلامها ثم قالت بصوت عال :"وكأنه كان ينتظر موتها ليفكر بأخرى ..لوكان يحبها كما أحببت أنت أمي لما فعلها ولظل وفيا كما بقيت أنت وفيا لأمي ... انظر إليك ! هاأنت تعيش سعيدا ،و لم تفكر بأخرى تحل مكان أمي "...التقط فؤاد الرسالة فيسألها مستغربا كلامها "وما دخل وفائه وحبه لزوجته في زواجه بأخرى؟...هناك أمور تحدث لا دخل للحب أو

الوفاء فيها ... والحياة ليست أكل وشرب وسبحة ومسجد يا مريم... " غادروا البيت على وعد أن تزوره مريم كل يوم لتتفقده وتعتني بالبيت.

عاد إلى الكيس وفتحه من جديد ..أطال النظر إلى الجلباب والبلغة والطربوش " أهذا فقط ما سيجعلني وفيا وأصيلا في نظركم ؟" ابتسم ساخرا ثم توجه نحو غرفته ،فتح الدولاب ورماه مع بقية الجلابيب...

أحس السي فؤاد بتعب شديد استدعى حضور اولاده ..حملوه إلى المستشفى لإجراء الفحوصات اللازمة ...لا شيء يقلق بعض الارهاق فقط وعليه أن يبتعد عن التوتر...

تمر الأيام بطيئة باردة على فؤاد ...لا هاتف يرن ولا أحد يطلب وده أو ينتظر مساعدته...لم يعد لديه ما يقدمه ،فانفضوا من حوله..

أحس بالفراغ يزحف نحوه، فيحترق من داخله ويذوب كلما اشتد احتراقه وتذوب معه رغبته في الحياة ...

حمل بعضا من همومه والتحق بأصدقاء له بإحدى المقاهي على ناصية الشارع لعله يجد بينهم متنفسا له وخلاصا من هواجسه... لم يزده لقاؤه بهم إلا توترا... وجوه مبتسمة لأجساد خاوية ...كأنهم مجرد منتج انتهت مدة

صلاحيته فوجب التخلص منه... جمدت أحاسيسهم ونضبت مشاعرهم وكل أمنياتهم ،حسن الخاتمة...

مشط الطرقات بعد أن خذله الجميع، بعد أن انكشفت له سوءات هذا الواقع الذي يعيش أقصى ماديته وبراغماتيته ..كان بحاجة إلى أن يتوه بعيدا عن كل مكان يعرفه ويذكره بمعاناته ويزيد من هواجسه ...عاد منكسرا إلى بيته، يستأنس بالموسيقى وأحيانا يتصفح كتابا ...همس لنفسه " صدق سارتر حين قال " الجحيم هو الآخر"

...استمر فؤاد على هذا الحال أياما سجين آلامه يائسا مكتئبا حريصا على ألا يفقد حب أولاده واحترامهم ،حريصا أكثر على ألا يخدش الصورة التي رسموا له ... لكنه من داخله يتوق أكثر إلى كسر ذلك القالب الذي فرضوه عليه ويعود للحياة ... استبدت به الوحدة فما عاد يتحمل أحدا... .

انتبهت زهرة إلى حالة الفوضى داخل البيت ...وشرعت تفتح النوافد وتعيد ترتيب بعض الادأغراض، تنبهه من حين لآخر إلى أنه لم يعد يهتم بنظافته ولا بمظهره " أنت تفرط في التدخين وهذا يضر بصحتك ' ... ليرد في شبه تمتمة :"طالما الروح منطفئة فلاشيء يفيدها ". غادرها غير مبال لاهتمامها المزيف سألته " هل تواظب على أدويتك ؟" ..ليرد بيأس شديد" .لا تهتمي أنت بصحتي ،خذي ابنتك واتركيني ..سأتحسن لا تقلقي "

لم يعد فؤاد قادرا على العيش لأجل الآخرين فحسب ... أدرك أن رجل الشمع الذي صنعوه له صار يذوب يوما بعد يوم وهو يسعد الآخرين ...تساءل:"أين أنا من كل هذا ؟ "إلى متى سأعيش كما يريدون؟ ...لقد صنعوا مني شخصا أجوفا ،وهاهم اليوم يحركونه كما بحلو لهم ،شخص يرضي غرورهم ويحافظ على شكلهم أمام الناس"

هجر كل أنشطته اليومية. ..هجر كتبه و هاتفه وحتى الجرائد التي لم تبرح يديه يوما ...كل شيء بات مهجورا حين هجرته الحياة وهجره الفرح ...أفرط في التدخين ...يقضي اليوم يروح ويجيء داخل غرفته يرفض أن يتصل بأحد او يتواصل مع احد صار يستعجل الموت ... نظر إلى علب الأدوية المرصوصة جانب السرير ...ابتسم وهو يتذكر ماقاله الطبيب ..."ابتعد عن التوتر" ...فتذكر أنه لم يتناول جرعة واحدة من هذه الأدوية لأنها ليست دواءه ولن تعيد اليه شغفه ،لن تمنحه الحياة.

في لحظة ما خيل إليه أن وجوه أبنائه تكاد تفترسه ...صراخهم يعلو ،وتهديداتهم مخيفة ،نظرات الاشمئزاز ترعبه ...لقد فقدوا الثقة في أبيهم ..لقد اهتزت صورة الأب الأصيل ... فيهب في وجوههم صاخبا "ماذا تريدون مني ؟ اتركوني لحالي ..لا ادأريد زياراتكم.... لا أريد اهتمامكم ولا عطفكم ولا احترامكم أنتم تخنقونني بمشاعركم المهترئة المزيفة ...سئمت حرصكم

على تذكيري كل يوم بالوفاء لأمكم ...ليتني كنت مت في الحادث بدل الموت كل يوم" ..نظر إلى علب الأدوية أمامه...

بدأت أطرافه ترتعد ...جف حلقه ..لم يعد يسيطر على نفسه وشرع يكسر كل ما يوجد من حوله وهو يتجه إليها ....ارتعشت يداه حين مدها نحو علبة من المهدئات ...تردد فسحب يده بسرعة... كان يصرخ شيء بداخله محاولا ايقاظه من حالة الهلع التي انتابته ،وما فتىء يهتف " مستحيل أن أستسلم لكم ،مستحيل أن ادأستسلم لكم."

كان خائفا من فكرة العيش طويلا محاصرا وسجينا داخل هذا القالب الضيق ومقيدا بأغلال بئيسة صدئة ...إنها فكرة تشبه الموت ...بدأت انفاسه تضطرب وبدأ جسده ينز عرقا ...يحاول التنفس بقوة فيسمع صوت أنفاسه المضطربة ويزداد هلعه أكثر فأكثر ...رن الهاتف ...

لم يهتم فتركه يرن... إنها زهرة تخبره بقدومهم غدا لقضاء اليوم معه كما العادة ...يحاول أن يتجنب صراخها المزعج فيبعد الهاتف عن أذنه.... تلاشى الهاتف من يده ...لا زال صوتها على الهاتف مزعجا...هدأ قليلا يحاول أن يرتب افكاره و يفسر مشاعره ...أغمض عينيه ..." كانت تراقصه بكل أناقة ورقي بلباسها الملائكي الأبيض...

على نغمات سيمفونية "لحن الحياة ... " يهمس في أذنها ان الحياة كل الحياة ، بقربها، فتحمر وجنتاها خجلا ثم تبتسم. بكل الرضى والغنج الذي اشتاق إليه ...يرتفع ايقاع الموسيقى ،فترتفع معه نبضات قلبه ليزدادا تلاحما و ذوبانا ..شعر ان دماء دافئة ضخت في أوردته.. وشعر بأنفاسه تتصاعد وبعضلاته تتمدد لتتلاشى فيسقط أرضا منتشيا سعيدا...

أسند ظهره على حافة السرير وهو يداعب علبة دواء ويبتسم لها ،كأنه يعدها برقصة ثانية وثالثة وعاشرة و بأن لا يفارقها، فقد تعب من الانتظار وتعبت روحه من الوحدة والفقد .. فكر ثم فكر ،وقرر أن ينهي كل متاعبه ويضع حدا لمعاناته ... أن يتخلص من السجن الذي بداخله ، ويستعيد حريته وحياته بين يديها ودفء أحضانها .. ماعاد يحلم بشيء الآن ولا يأمل في الغذ ،إذ لا شيء يتجدد فيه غير الألم والخذلان...

تمدد على سريره ،داعبت خياله صور أحبها كثيرا تتخللها أصوات وصراخ وضحكات وقهقهات وبكاء لأطفال صغار ونحيب لجمع من الناس ...أغمض عينيه وراح ليكمل رقصتهما الأخيرة... حلقا بعيدا بعيدا ...بدا سعيدين ... رائحة الوداع خيمت على المكان ...نزلت دمعتان من عينيه ثم استسلم لنوم لم يستيقظ بعده...

بين أيد أمينة.

بعد أن تم استقرارنا بمسكننا الجديد، في الحي الجديد ،كان على والدي أن يلحقنا بأقرب مدرسة ...ولحسن حظنا جميعا، كانت كل المدارس قريبة من منزلنا ،لكن كان لابد أن نفترق نظرا لعدم توفر الأماكن الشاغرة لجميعنا في نفس المدرسة ،وكان حظي أن ألتحق بمدرسة للبنات والباقي بمدرسة مختلطة... بدا لي الأمر مختلفا أول الأمر، حيث لم أعتد على جو الدراسة في محيط خاص بالفتيات ،لكنني استطعت أن آخذ مكاني بينهم ،وأتأقلم مع الجميع...

كنت وقتذاك طفلة في عامها العاشر ...سلمني والدي إلى المعلم وانصرف مطمئنا أن ابنته بين أيد أمينة ... ،استُقبِلت من طرف المعلم والتلميذات بابتسامات عريضة ...دخلت الفصل مرتبكة أحاول أن أرضي جميع من يرحب بي وبالجلوس جانبه ...تدخل المعلم ليفصل في الأمر واتخذ لي مكانا بجانب إحدى التلميذات ...سعدت أول الأمر برفقتها ..كنت أرى فيها جانبي الذي أفتقده ...كانت كثيرة الشغب جريئة عندما يتطلب الأمر جرأة ...تملك مفاتيح قيادة القسم .لا يجادلها أحد في قراراتها ولا يجرؤ أحد على مخالفتها ...لم اكن اعرف بعد قوانين القسم ،فاستسلمت لها خوفا و امتثلت لأوامرها...

لم تكن رؤية المعلم آنذاك عاري الصدر، تثير استغرابنا ولا خوفنا...فقد كان يطوف بين الصفوف وكأن الأمر طبيعي...

بعدما انتهى من تقديم الدروس ، أمرنا بحفظ سورة "البينة" وسيعاقب كل من تهاونت...

فينكب الجميع على المصاحف مع الحذر من رفع رؤوسنا أو النظر يمينا أو شمالا، وكل من ضبطت مخلة بهذا الأمر، يلجأ معها للعقاب البدني البشع .. بينما هو ينصرف إلى مؤخرة الصفوف ،حيث يتخذ له مكانا على إحدى الطاولات بالقرب من تلميذته المميزة والمفضلة .... ولا نلبث إلا لحظات حتى يأمرنا أن نغمض أعيننا وندفن رؤوسنا بين أذرعنا على الطاولة ولا نرفعها إلا بأمر منه .... اعتادت التلميذات هذا الإجراء حتى صار طقسا يطبقنه قبل نهاية كل حصة دراسية...يدركن أن أي اخلال به أو تهاون فيه سيعرضهن للعقاب الشديد...

وحتى يضمن امتثالنا لأوامره ، كان يقوم بنزع حزام سرواله ليهددنا به إن حاولت إحدانا رفع رأسها و النظر ألى الخلف ...كنا نلبي الأمر بخوف شديد وكان البعض منا يستسلم للنوم العميق أحيانا بسبب طول المداعبة فلا نعبأ بما يدور من خلفنا... كان ينفرد بمن يقع عليها اختياره ...فيقوم بكل اطمئنان بمداعبتها وملامسة كل جسدها،بينما هي، بكل براءتها، مستسلمة مطمئنة له ...تثير فضولنا ضحكات بريئة ممزوجة بأصوات غريبة كانت

تصدر من آخر القسم فيفزعنا صوته وهو يصرخ بنا "سكوت" رغم أن الصمت كان يعم كل القسم بسبب الخوف الذي كان يشل حركاتنا ..أحيانا كان الفضول البريء يدفعنا لاختلاس النظر فنتابع مشاهد الملاطفة والمداعبة، ونتبادل نظرات التعجب ... نحاول أن نخنق ضحكاتنا حتى لا ينتبه إلينا ، فينقطع المشهد أو نتعرض للعقاب ....وبينما نحن على ذا الحال ، نكزتني صديقتي لتنبهني إلى النظر خلفي ،فاستجبت بسرعة لأفاجأ بالمعلم منشغلا بمداعبة التلميذة البريئة...كانت تلميذته المفضلة... كل ميزاتها أنها شقراء جميلة ،تكبرنا جميعا عمرا وهيئة ...يغفر كل أخطائها ولا يحاسبها على تهاونها أو كثرة شغبها ...كان يجلسها بقربه يداعب شعرها الأشقر المنسدل على كتفيها ويضمها إلى صدره من حين لآخر ويغدق عليها بالقبل ...كنت أتابع المشهد في دهشة ...نظرت إلى صديقتي لأفهم ما يحدث فإذا بها تنفجر ضحكا ...انتبه إلينا فثار غضبه ...انتفض من مكانه أبعد التلميذة من على حجره وهرول نحونا وهو يسب ويلعن ثم انهال علي بمسطرة حديدية ، متوعدا إياي بأشد العقاب إن تجاوزت أوامره مرة أخرى وأيضا ليلقنني قانونا من قوانين القسم... وليبدو جادا في كلامه ، أمرني باستظهار سورة "البينة... "السورة التي فشلت دائما في حفظها ...تلعثمت وعجزت عن الاستظهار ...وكان ذلك أول عقاب لي

على أول أخلال بقوانينه في أول يوم لي بالمدرسة ...لم يكن العقاب كافيا ليردعنا ،لكن كان يزيدنا فضولا لمراقبته أكثر... كنا ننتظر نهاية الحصص لمتابعة مشاهد المداعبة والملاطفة بين المعلم والتلميذة التي يقع عليها الاختيار ...لم نكن وقتها نفهم سوى أنه حب ورضى المعلم لتلميذته ، بل كنا نحسب أنها محظوظة بهذا الرضى وهذا الحب .... ظننت أن الأمر سيقف عند هذا المعلم فقط ...لم أكن اتصور أن الأمر سيتكرر مع معلم آخر ..

ظلت نفس المشاهد تتكرر طول السنة مع كلا المعلمين وبعض التلميذات ممن يقع عليهن اختيارهما، حتى ظننت أنه طقس لابد من أدائه قبل نهاية كل حصة وأن من واجب كل من وقع عليها الاختيار أن تلبيه دون اعتراض ، كما اقتنعت أن ذلك ليس جرما أو اعتداء على جسد طفلة وعلى براءتها ... وما زاد في تماديهما واطمئنانهما أن لا أحد منا استهجنت الأمر أو اشتكت من هذه التصرفات أو نقلت ما يحدث في الفصل إلى أسرتها بل صدقنا أن كل ذلك طبيعي وأنه فقط تعبير عن حب المعلم لتلميذاته كما أفهمونا ...لم تكن كل التلميذات محظوظات لتنلن هذا الرضى وهذا الاهتمام من المعلم بل كان يتم انتقاؤهن ...كما لم يكن ذلك ليثير استغرابنا أو اشمئزازنا أو

تخوفنا ،ماجعل الأمر يتكرر ويتم دون خوف أو قلق أو حتى شعور بالذنب...

و رغم هذا القبح الذي مورس على بعض الطفلات البريئات داخل فصول الدراسة ،ورغم ما يعنيه من اعتداء على براءتهن واستغلالهن لإرضاء غرائزهم الوحشية ، لم نفقد يوما احترامنا وحبنا لمعلمينا ،ولم نفقد يوما الشعور بالأمان ونحن بين أيديهم لم يكن معلماي استثناء، ولكن جريمة كهذه كما كان يبدو ،كانت أمرا واقعا في بعض الأقسام ... فقد كنا نتداول تلك المشاهد فيما بيننا في خوف شديد ، وينتهي الحديث عنها قبل أن نخطو باب المدرسة خوفا من أن يطالنا العقاب..

على خط الانطلاق.

خرج مسرعا من المنزل يحمل محفظة مهترئة ثقيلة أمالت جسمه النحيل نحو الأرض ...يتأبط في الجانب الآخر كيسا بلاستيكيا أسود ...في منتصف الطريق ،ركن إلى بناية خربة ،توارى عن الأنظار ثم لبس حذاءه الرياضي بعد أن خلع نعلا ذاب وتآكل من فرط الأستعمال ...وقبل أن يطل على باب المدرسة أخفى النعل في الكيس وعدل من هندامه وبدا مقبولا لا يثير الشكوك من حوله...

في إطار تفعيل نادي الأعمال الاجتماعية بالمؤسسة ، شرعت الأستاذة-داخل القسم - في توزيع بعض الملابس والاحذية على التلاميذ الذين تظهر عليهم علامات الفقر والبؤس...فقد دأبت على هذا العمل منذ سنين ...كان نظره وقلبه يتلهفان على شيء مما يحظى به التلاميذ ،لكن أنفته منعته من أن يعلن عن ضعف حاله وأنه الأكثر حاجة إلى هذه المنحة ...حزن كثيرا لضياع فرصة ثمينة كهذه... كيف يخبرها أنه يحتاج إلى المساعدة دون أن يثير انتباه التلاميذ إلى فقره وضعفه ؟

تمر الأيام ،ويحل فصل الشتاء ببرده القارس و ثلوجه ...ماجعل حضوره إلى المدرسة أمرا عسيرا ...تفقدته الأستاذة لكن لا أحد يعرف عنه شيئا ...انتظرت كثيرا حتى عاد فاستقبلته وهي

تتفحصه ...فهمت أنه من وسط ضعيف ... لم تثر الموضوع ..لكن أثار انتباهها الكيس الأسود الذي لا يفارقه ، فقررت أن تعرف سره...

انتظرت نهاية الحصة ...ركبت سيارتها وانطلقت تراقب يوسف دون أن تلفت انتباهه أليها ...وكعادته انزوى يوسف الى البيت الخرب ...فجأة رأته يخرج وهو يلبس نعلا مهترئا ويتأبط الكيس الأسود...

في حصة الرياضة، قررت الأستاذة أن تجري سباقا بين التلاميذ ،،،لاحظت سعادته وهو يستعد للسباق ...كان يوسف كالبرق بين نقطة الانطلاق ونقطة الوصول ...سعيد أكثر وهو يحظى برضى الأستاذة وتشجيعاتها..

يوسف تلميذ نجيب يكد ليكون الأفضل بين زملائه حريص أن يحظى بالمراتب الأولى وبحب أساتذته ... جديد على المؤسسة ،لا أصدقاء له ولا أحد يعرف عنه شيئا ...انتقل مع أسرته إلى المدينة قادمين من القرية وسكنوا على أطراف المدينة في إحدى البيوت القصديرية ، يقطع كل يوم مسافة طويلة ليصل إلى المدرسة ...لا يعود إلى البيت إلا مساء ...وبين الفترة الصباحية والمسائية يضطر يوسف أن يقضي ساعاته بين جدران ذلك البيت الخرب ينجز تمارينه على ضوء الشمس ويتغذى بقطعة خبز محشوة بسمك السردين أو العدس التي

يحظى بها من المطعم المدرسي ... ينقطع عن الدراسة كلما سقطت الأمطار بغزارة ...فضعف حاله لا يسمح بأن يجازف بحذائه الرياضي الوحيد ولا بنعله البلاستيكي المهتريء ... هو الذي يعلم كيف حصل على هذا الحذاء الرياضي وما عاناه طول فصل الصيف... بينما الأطفال يستمتعون بعطلتهم الصيفية كان يستيقظ باكرا ، يجر أمامه عربة لينقل عليها مشتريات السكان من السوق إلى المنزل مقابل دراهم معدودة ، وكثيرا ماكان الأب يحتال عليه فينتزع منه بعضا من مدخراته...لاشيء في ذهنه غير الظفر بالحذاء الرياضي ليحقق حلمه الكروي...

ظلت الأستاذة تراقبه عن قرب وتتابع صمته وانطواءه الغريبين داخل القسم وخارجه، فقد كان يجد صعوبة في التواصل بالعربية ..لهجته الأمازيغية جعلت اندماجه صعبا بين اقرانه الذين لا يعرفون الأمازيغية ،ففضل الابتعاد عنهم والانطواء على نفسه...

قررت المدرسة ان تشارك في مسابقة بين المدارس للفوز بكأس البطولة الخاصة بسباق المسافات المتوسطة والقصيرة... وقع اختيار الأستاذة على يوسف لكنه لم يبد رغبة في ذلك في حين تهافت التلاميذ من أجل المشاركة ،حاولت أن تعرف سبب رفضه المشاركة لكنه فضل الصمت مطأطئا رأسه خجلا وحزنا

في نفس الوقت..لكنه قبل فورا حين علم أن جائزة الفائزين ستكون اقمصة و احذية رياضية...

شاهدها وهي عائدة بسيارتها فتوقف ليتابع وجهتها ..اوقفت السيارة بالقرب منه ..حيته وسألته ..." هل أنت من هذا الحي ؟ اجابها : أجل ...هناك ،خلف تلك الاكمة يوجد بيتنا "... جيد ، كنت أبحث عن امرأة تساعدني في إشغال البيت" ... "أمي تعمل عند أسرة، بعيدا، ولا تعود إلا ليلا "..." ماذا عن أبيك؟" " إنه بستاني ..."جيد، أنا أحتاج بستانيا ،سأتصل به لنتفق على العمل ان وافق طبعا" ...ثم ودعته وانصرفت ...

قبل ان يدخل البيت ،استرعى نظره كيسان كبيران ،اسرع نحوهما فسحب أليه كيسا ليطلع على محتواه وإذا به يفاجأ بالكثير من الملابس والأحذية والمعاطف ...سحب الكيسين داخل البيت وأخذ يبحث بين محتواياتهما .."يالسعادتي ! كم كنت في حاجة إلى هذا الحذاء الرياضي ! الآن صار بإمكاني لعب كرة القدم مع أصدقائي وأن أشارك في المسابقات الرياضية دون خوف... "

لاحظت الأستاذة أن يوسف سعيد اليوم و لم يحضر الكيس الأسود ...تأثرت كثيرا بهذا الفرح ... حاولت أن تجعله ينخرط مع اصدقائه في القسم فاوكلت إليه مهمة مساعدة أصدقائه المحتاجين إلى الدعم...

كانت فرصة أمام الأستاذة لتفتح مع المدير موضوع يوسف وكل التلاميذ الذين يعانون ظروف البعد والفقر وطرحت ظروف يوسف وغيره أمام مجلس الاساتذة لتدبير هذا المشكل الذي يسبب هدرا مدرسيا مضطردا بين تلاميذ المؤسسة ...استمر اهتمام الأستاذة بيوسف دون أن يعلم شيئا عن اليد الممدودة التي انتشلته من همه اليومي وعزلته ،يد جعلته يعيش حلمه في الواقع ويمارسه بكل ثقة...

لم يفكر يوما أن يسأل من يكون صاحب الفضل في هذا الفرح،فقد جعله سرا يسعده ويحفظ كرامته ...

شاهدها تخرج من سيارتها وهي تحمل كيسا كبيرا وتضعه في مدخل الدار وامنته حتى لا تطاله يد أخرى ...ثم انسحبت قبل أن يكتشف أمرها أحد من اهل الدار ...ركبت سيارتها وانطلقت ... تسمر في مكانه من المفاجأة وتذكر أول يوم شاهدها بالقرب من منزله ...اختبأ وراء سيارة صدئة مركونة بالحي وانتظرها حتى تمر ...لا يريد أن تعرف انه اكتشف سر اليد الحنون التي أدخلت السعادة إلى قلبه ...ظل سعيدا بهذا التغيير ،يخفي معرفته بفضل استاذته عليه... سعيدا ينتظر المسابقة التي ستحقق حلمه الكبير...

حل يوم الحسم ،تقدم يوسف نحو حلبة السباق ، القى نظرة شكر وامتنان إلى استاذته صاحبة هذا الفضل ..أطال النظر أليها

مبتسما ،واعدا إياها بالفوز ...لوحت له بيديها تشجعه وتبعث الثقة في نفسه ...أخذ مكانه على خط الانطلاق، ينتظر صفارة الانطلاق لتبدأ مرحلة جديدة في حياته ...طأطأ رأسه ...أغمض عينيه فمر شريط قصير عن معاناته اليومية بين المدرسة والمنزل وهو يختبىء ليغير النعل بالحذاء ذهابا وإيابا ...حرمانه من أيام الدراسة وقت سقوط المطر أو الثلج خوفا على حذائه الوحيد ...صورة أبيه وهو يعنفه عند رؤيته يلعب الكرة مع أقرانه ويتوعده إن هو مزق الحذاء ...صور تشحنه بالإصرار على الفوز وبالتالي الفوز بالحذاء الرياضي الذي سيحقق حلمه في الانضمام إلى فريق كرة القدم بنادي الحي بعد أن يكتشفوا مهاراته الكروية ... تراءت له صورة نجمه المفضل، فزاد إصراره على الفوز ..." هذه فرصتك يا يوسف ،لا تضيعها ، قد يغير هذا السباق كل حياتك ...اعط كل ما لديك وفز ..فز يا يوسف ،لا تستسلم وتمسك بحلمك حتى آخر النفس ،إنها فرصتك لتحقق حلمك"

دقات قلبه تتسارع اختلطت فيها مشاعر الرغبة في الفوز بمشاعر الخوف من الفشل ... ا

احس بتصلب يديه ورجليه ...ارتعدت فرائصه وجف حلقه...انطلق السباق وانطلق يوسف كالسهم لا يثنيه عن الفوز شيء.

لا زلت حيا.

كان كلما رغب بها او اقترب منها تصده أوتنسل من بين ذراعيه غير راغبة ...تجتهد دائما في البحث عن المبررات التي لم تعد تقنعه "...لم تعد ترغب بي !" ...سألها لكنها لم تقنعه ..."لا يمكن أن تتحول زوجتي وحب حياتي إلى كتلة من الثلج، ولن أتقبل صدها وأنا راغب بها كل هذه الرغبة. "

لم يعد الأستاذ علي يتحمل صدها له ولا مبرراتها الغريبة ... ...تنهره وتنفر منه وأحيانا كثيرة تشعره بالحرج... كان يزعجه ما وصلت إليه... ظل يكتم انزعاجه منها أياما وشهورا ولا يبين ...كان يتفهم تقلبات مزاجها لكنه الآن لم يعد قادرا على تحمل المزيد... قرر أن يختبر مشاعرها ذات يوم فأخبرها مازحا أنه سيبحث عن زوجة أخرى تحبه وتهتم به ...إلا أنها فاجأته ببرودتها وردة فعلها وهي التي كانت تستشيط غضبا لمجرد الحديث عن امرأة ...وزادت أن قالت له " ستكون مجنونة ، تلك التي ستنظر إليك او ستقبل رجلا عجوزا مثلك ... بينك وبين القبر خطوات ، واظب على صلاتك واهتم بأمور دينك عساك تحظى بمغفرة وبمكان في الجنة " ثم أعقبت كلامها بضحكة ساخرة ...حز في نفسه أن يسمع هذا الكلام من زوجته ،لكنه لم يبن ...ابتسم ثم تركها ودخل الحمام ..نظر إلى وجهه في المرآة

...تأمله كثيرا ...ثم قال وهو يبتسم ليخفي ألما بداخله ."إنها تتدلل ... أنا أعرفها،هي تحب الدلال ...لايمكن أن تتغير مشاعرها نحوي ...فأنا زوجها الذي أحبته بجنون..."

ينظر شاردا إلى المرآة فلا يرى غير صورة شاب لم تؤثر فيه السنون ...لم ير ذلك الزوج العجوز الذي تقوس ظهره وغزا الشيب رأسه ورسمت التجاعيد أخاديد في وجهه ...بدت له صورته شابا يافعا مليئا بالحياة ...تذكر أيام الشباب ...نشاطاته بالجامعة ..لقاءه الأول بحبيبته ومغامراتهما .. يوم زواجه ... إنه لايشعر بأي تغيير في حياته ...لم تهزمه السنون... هي تغييرات طالت جسمه فقط ولم تمس قلبه ولا عقله ..مازال يشعر بنفس الشغف ونفس النشاط والحيوية ... لازال قلبه ينبض بالحياة و رغبته في الحب والعطاء فياضة...

ظل يحمل بداخله صورة ذلك الشاب الثائر المحب للحياة...

في إحدى اللقاءات الثقافية ، شدت انتباهه فتاة من الحاضرين ...جذبته باهتمامها وأسئلتها ...اقترب منها وتعرف عليها ...أبدت سعادتها بالتعرف عليه وإعجابها بمنشوراته وكتاباته وأفكاره..تبادلا الإعجاب...تواصلا مرارا وبانتظام ...انجذب إليها وانجذبت إليه ...سأل نفسه : ماذا يحدث معي ؟ لماذا هذا الشعور الغريب تجاه هذه الفتاة ؟ أكيد ليس حبا ...أنا أحب زوجتي ولا أفكر مطلقا بأخرى ... أقنع نفسه مرات أن هذا مجرد

إعجاب ولا يمكن أن يتعدى الإعجاب ...قرر مرات عديدة أن يوقف تواصله معها ، لكن في كل مرة تخيب المحاولة ...آنه يشعر بالانجذاب نحو تجربة غريبة ...تجربة تجرفه إلى عوالم يعيش فيها الحب والرومانسية...تجربة يجدد فيها شبابه الذي يكاد يفقده ...إنه يحتاج أن يعيش هذه التجربة ، لكن شيئا بداخله يبدو غير مستقر ...إنه يحب زوجته ولا يريد أن يخذلها ...وفي نفس الوقت هي من تبتعد عنه ...لم تعد تراه ذلك الزوج الذي حاربت الجميع لأجله ...لم تعد ترغب به ...صارت تقضي معظم أوقاتها في الصلاة وقراءة الأوراد وبين مشاغل الأبناء ومشاكلهم وكثيرا ما تقضي وقتها في المسجد لحفظ القرآن .. لا يراها إلا والسبحة في يدها ... لم تعد تهتم به ولا برغباته ..."هل انتهت صلاحيتي كما قالت؟ لا أستطيع أن أكتم كل أصوات الحياة بداخلي وألا أستسلم لأفكارها .كما لا يمكنني تجاهل هذه المشاعر الغريبة التي بدأت تتسلل إلى قلبي والتي لم أعد أقوى على تجاوزها ..؟"

إنه الآن بين نارين ...نار حبه لزوجته ونار هذه المشاعر التي يغرق فيها يوما بعد يوم...

رن الهاتف...إنها رسالة ...أسرع إلى الحمام قبل أن تنتبه زوجته ...لا يريد ن تكشف سره ...هو يدرك أنها لن تغفر له خيانته/ حبه .. قرأ رسالة فتاته ...انفرجت أسارير وجهه ...غمره ارتخاء لذيذ

... سحرته كلماتها التي سرت في جسده كأنها الخذر ... كلمات رممت الشروخ التي تركتها كلمات زوجته في روحه... استسلم لهذه المشاعر وصمت قليلا...تملكته رغبة في البوح بمشاعره تجاهها لكنه لم يفعل...ظل مشدودا إلى صورته عساه ينزع صورة الشاب من المرآة ومن داخله ، ويطوي صفحة هذا الحب الغريب الذي فات اوانه... لكن جنون العشق والشوق أفقداه رؤية الأشياء بوضوح ...بدأ الفرح والخوف يتصارعان في ذهنه ...ما العمل ؟ كيف يخرج من هذا الوضع دون خسارة إحداهما ؟ زوجته حب حياته وفتاته التي سيطرت على عقله وكل كيانه ... إنها المرأة التي كان يحلم بها دائما وقد وجدها أخيرا ...صار يحملها معه أينما حل...لقد أدمنها ولم يعد يقوى على الابتعاد عنها...صار همه كيف يحمي هذا الحب و كيف يعيشه سرا بين قلبه وروحه ورمزا بين حروف كلماته ...تضاربت الأسئلة في رأسه "لن يتقبل الناس هذه المشاعر من عجوز مثلي ... أكيد ،سأفقد احترامهم ...أخشى أن يكون هذا الحب مجرد نزوة عابرة ... إن كان حبا ،فمامصيره ؟... ماذا بعد كل هذا التغيير في حياتي ؟ ...لم أعد أعرف ماذا أفعل ...لكن كل ماأعرفه هو ان الحياة يجب أن أحياها كما أريد... أنا أرفض أن أقضي حياتي أتبادل رسائل الأدعية بين اصدقائي المتقاعدين ... لن أقضي يومي و أنا أجتهد في التعبد قبل

الرحيل لأضمن لي مكانا بالجنة...لن أقبل بهذا الموت البطيء ...أريد أن أعيش الحياة حتى آخر النفس... "

شعر أن كل حواسه توقفت ... كل أسئلته تحتاج جوابا ...

قال في نفسه بعد ان بدأت الأشياء تستعيد صفاءها في ذهنه و بعد أن أجاب عن كل الأسئلة " يجب أن يكون هناك اختيار و تحمل مسؤولية هذا الاختيار ...وأنا اخترت".

عالم .... ليس لي.

دخل إلى المنزل وهو يصرخ - "قلت لكم لا أريد ان أستمر في هذه الاعدادية ...لا أريد ..إنهم يحاصرونني متعمدين. "
كان مهدي تلميذا كثير الغياب ... وقد أثار غيابه المتكرر كل الأساتذة وطاقم الإدارة..الأمر الذي استدعى إخبار اسرته ... رافقه اليوم كعادته أخوه مجيد ...أذهله ما سمعه من الإدارة عن سلوكه وعن غيابه المتكرر ... تلك كانت آخر فرصة له ليستمر قبوله بالمؤسسة...
فاجأ مهدي جميع من في البيت بعدم رغبته في متابعته الدراسة في نفس الإعدادية، وطلب نقله إلى اعدادية أخرى.
ظل المهدي حاضرا غائبا ، يمارس شغبه وغيابه المستمر، وظل مجيد ناصحا تارة ومعاتبا تارة أخرى، مما جعل مهدي ينفر من البيت اليوم كله، ولا يعود إلا بعد منتصف الليل...
كان مجيد ومهدي من أسرة فقيرة ، يعيشان في حي بسيط يفتقر للكثير من مقومات الأحياء السكنية المثالية ...الحياة فيه مثل الجحيم ...أغلب سكانه معدمون...
كان مهدي يشعر بالحرج كثيرا وهو يرى أباه في " الموقف "، ينتظر طالبا لخدماته ،او تكون امه من بين النساء اللواتي يعملن منظفات بيوت في الأحياء الراقية...كان حلمه أن

يترك هذا الحي ..أن يتنفس هواء نقيا وينعم بحياة كريمة ، بعيدا عن صور البؤس التي تطالعه كلما دخل الحي ..كان يقضي يومه يتسكع بين دروب أحياء، ينعم أهلها بقليل من الحياة الكريمة ...جل أصدقائه من هذا الوسط ...اهمل دراسته ودأب على زيارتهم وصار لا يفارقهم...

وكان مجيد -الإبن البكر- الذي يعلق عليه أهله آمالا كبيرة ... كان الوجه الآخر الذي يهرب منه مهدي ،الوجه الذي يذكره بفشله ...فشله في أن يكون مثل مجيد ...فيزيد ذلك من غضبه ورغبته الشديدة في أن يثبت لأبويه وللناس أن بإمكانه أن يكون الأفضل ...كان يؤمن أن الحياة التي يحلم بها لا تحققها الشواهد... لذلك انضم الى فرقة موسيقية لشباب بحي السعادة ، حيث كانت انطلاقتهم نحو عالم الغناء ... كانت البدايات الأولى للفرقة، العمل في النوادي الليلية والبارات والاعراس..

حصل مجيد على شهادته الجامعية ومن ثم شهادة الماستر في الأدب ...بدأت كتاباته تلقى اقبالا جماهيريا كبيرا تستأثر باهتمام فئة عريضة من المثقفين والمهتمين وجهات رسمية ... جعل محور كتاباته حرية الانسان ...استطاع أن يعكس في كتاباته الواقع الاجتماعي والسياسي المتردي... تجلى ذلك في

قصته الأخيرة " عالم ليس لي " التي أحدثت ضجة كبيرة دفعت إلى محاصرته ومراقبته..

وفي المقابل ،استطاع مهدي أن يضع أولى خطواته على سلم الشهرة ...استطاع أن يستقطب جمهورا واسعا ... تفتح له أبواب النوادي والمسارح والقاعات ويستقبل باحتفاء كبير داخل المغرب ثم خارجه بعد ذلك...

عاد ذات يوم الى البيت ،ليفاجىء أمه بزيارة بعد طول غياب .. عاد بسيارة فارهة، اجتمع حولها أطفال الحي يهللون بمهدي ويرددون كلمات لإحدى أغنياته المشهورة ..فرحت أمه لرؤيته، وأسرعت لترتمي في حضنه، وانهالت عليه بالعتاب وهي تذرف دموع الاشتياق والوحشة ...لم يبد قليل اهتمام للهفتها... توجه نحو تلك المنضدة القديمة المهترئة التي لا زالت في ركنها المتآكلة جدرانه والذي غطت جانبا منه، بقع العفن جراء الرطوبة ،تأفف وهو يحاول أن يجد له مكانا يليق به ... سمع مجيد بحضوره وعاد مسرعا إلى البيت، ليفاجأ بأخيه يدخن سيجارة في حضور أمه ...لم يستطع أن يتمالك نفسه من شدة الغضب ، فبادر يعاتبه ..أنت ..ماذا تفعل؟ تدخن بحضور أمك؟

لم يبد مهدي اهتماما لرؤية أخيه مجيد ..." لا زال على طبعه يلعب دور الناصح والفتى الصالح" قال في نفسه ...قام

من مكانه وهو يسحب من جيب سترته حزمة من النقود ليضعها على الطاولة بكل احتقار ثم هم بالانصراف..لا أريد مواعظ أو نصائح منك" ..الا أن مجيد اعترض طريقه رافضا تصرفه واعتبر ذلك إهانة له ولوالديه ..."خذ نقودك لسنا بحاجتها "... "لا ..أنا بحاجتها وأبوك بحاجتها "...قالت الأم ...

"لا زلت تعتقد أنك الأفضل وأنني مجرد مشاكس وتافه ... أنا حظيت بفرصتي التي كنت أبحث عنها واستطعت أن أجد لي مكانا في عالم الغناء ..مكانا في عالم المجد والشهرة...ماذا عنك ؟ لا زلت تتوهم انك بفضل القيم والشعارات ستحقق شيئا وستغير العالم ...الواقع تغير وانت لازلت كما أنت تعيش الوهم وتبيعه لغيرك...لوكنت رضخت لضغوطك ونصائحك لبقيت في نفس وضعك ،انتظر متى تنشر لي قصة أو مقالة على صفحات الجرائد والمجلات وأنتظر الفرص التي لا تأتي"......ثم رمى أمام عينيه مجموعة مجلات وقال . "تصفح هذه المجلات لتعرف من أنا اليوم، ولتتاكد أن قراري كان صائبا ،حين قررت البحث عن مستقبلي ،بعيدا عن جدران تلك الاعدادية البئيسة، وهذا الحي المنسي المعدم، وعن قيمك ومبادئك ...كنت على حق وكنت أنت على خطإ" ... ثم أسرع بالانصراف ..وقبل أن تطأ قدمه عتبة الدار .سمع قهقهة ساخرة اضطرته ليتوقف ويلتفت إليه ،ليرى "مجيدا" يلوح بإحدى المجلات .."أنت فعلا حققت

حلمك... أنت فعلا انتشرت، لكن كيف و أين؟هذا هوالسؤال ...التفاهة التي تتباهى بها لا تثيرني ولا تهمني وليست انشغالاتي ... أنا أعرف أن هذا العالم لك و لهذه التفاهة التي تقدمها أنت ومجموعتك ،وغيركم كثيرون ... هل اعتقدت أنك ستبهرني حين تخبرني بأنك أصبحت مشهورا ومؤثرا في الملايين ممن يتابعونك ؟ ليس ضروريا أبدا أن أصبح مشهورا أو حتى عالميا لأؤثر في الناس لا نحتاج مالا ولا شهرة لذلك يا عزيزي النجم، ليس ضروريا أن يتابعك الملايين أو يعجب بك الملايين ..... لكن الضروري ماذا تقدم لهذه الملايين ممن يتابعونك ؟ الضروري يا عزيزي النجم أن تكون استثناء فيما تقدم ،وأنت لست استثناء ولن تكون ...أنت مجرد كارط يستخدم للإلهاء ،وعندما ينتهون منه، سيتم حرقه ، ماتقدمه يا عزيزي النجم بضاعة مطلوبة الآن وغدا ستنتهي مدة صلاحيتها وستتلف و كأنها لم تكن ...جئت لأرى أخي الذي أحبه وليس لأرى النجم الذي جاء ليبهرني بنجمه الساطع وبشهرته وبالملايين من متابعيه ويعيرني بمبادئي وشعاراتي ...لكن مع ذلك أنا سعيد لأنك أخيرا حققت حلمك... " شعر مهدي بأنه يحتقره كعادته فأخرج من حقيبته حزمات من النقود لينثرها في وجهه وقال وهو يضغط على أسنانه غيضا ..."كان هذا حلمي وكل ما أردته ،وقد حققته ، كان حلمي أن أخرج من

هذا البؤس الذي كان يخنقني ،أأن أعيش الحياة التي أستحقها ...ماكانت تهمني مواعظك ولا كانت تغريني شواهدك . .كنت أريد أن أعيش وبأي ثمن ...لا تهمني مبادئك وشعاراتك تلك ... وعن شعاراتك ومبادئك ،هل أوصلتك إلى شيء ؟ " قال وهو يسخر ... "هل شواهدك حققت لك جزءا من هذا المال؟ هل أخرجتك من هذا البيت المهترىء وأسكنتك بيتا نظيفا ؟ أخبرني..؟هل أركبتك سيارة آخر موديل ؟ هل استطاعت أن تدخل أباك الى أكبر المصحات ليتعالج ؟ هل استطاعت أن ترحم أمك من العمل في البيوت وهي تتحمل غلظة هذه وإهانة تلك؟. أحست الأم أن مهدي انفعل و أغضبه كلام أخيه وقد يجعله هذا يدهب ولا يعود اليها ثانية ويحرمها من نعيم مرتقب ...ادأسرعت إلى النقود تجمعها بلهفة وهي تلقي باللوم على مجيد...فقاطعت حوارهما "هكذا أنت دائما .. لم نأخذ منك إلا الكلام والشعارات ... اترك أخاك يفعل ما يشاء ..هذه حياته . الحمد لله لقد فتح الله له باب رزق ،فلمَ ترميه بهذا الكلام الذي لا فائدة منه ؟...دعه وشأنه ولا تتدخل في حياته ..اهتم أنت بقصصك ومقالاتك ودعه هو لعمله، ماذا استفدنا منك؟لا شيء " ثم التفتت نحو مهدي لتعانقه وتباركه ...انفلت من حضنها وأسرع نحو الباب يريد مغادرة المنزل ..." عجبا كيف أنْسَتْك الشهرة والمال أن لك أبا مريضا ربما يريد ان يطمئن على

مستقبل ابنه ، أو يرى ابنه النجم قبل أن يموت "..".يا إلهي كيف نسيت أبي" تبا لك يامجيد "' ، ثم دلف محرجا إلى غرفة أبيه حيت يقبع مريضا منذ شهور...

نظرت الأم الى مجيد نظرة عتاب ...أحس مجيد أنها لم تعد ترغب بكلامه ولا بنصائحه ولا بقيمه التي لم تغير شيئا من واقعها المزري... بعد أن رأت لمعان نجم المهدي ،لم يعد ذلك الابن الذي تعول عليه ،لينقلها من وضعها البئيس ،الى عالم الترف والحياة الكريمة التي لم ترها إلا في بيوت الآخرين ... فضل أن ينسحب، تاركا لها فرصه الفرح بزيارة ابنها النجم ...

ظل مجيد يكتب ،وظل قلمه مشهرا في وجه الفساد والمفسدين ، ينتقد بكل جرأة المحرمات السياسية والقمع والتضييق على الحريات ..لم تثنه تهديدات الكبار ...تترصده أعين المخبرين في حله وترحاله تحاصر كل تحركاته وكل كتاباته ،تنتظر الفرصة للايقاع به والتخلص من ازعاجه ...وظل مهدي ينتقل من عالم إلى عالم ونجمه يسطع اكثر فأكثر...

كان مجيد قابعا في زنزاته وحيدا يجتر شعاراته ومبادءه ويرسم على جدرانها أحلامه البسيطة...،فجأة سمع حارس السجن يعلن عن زيارة باسمه " .. "انها امي ، لابد انها جاءت تحمل الي خبرا عن ابي "

"إنه ينتظرك بمكتب المدير" ..قال الحارس بسعادة لا توصف ..." إنه شقيقك الفنان مهدي، (رابورنا) الكبير."..اندهش مجيد قائلا "أخي مهدي ؟"

أسرع مجيد إلى مكتب مدير السجن متلهفا لرؤية أخيه ...فوجيء بمهدي يحظى باستقبال كبير من طرف المدير وبعض العاملين الذين هبوا لرؤيته وأخذ صور معه ...دخل مجيد المكتب... أثاره ذلك الاهتمام والتقدير لنجمهم المفضل... ينتظر دوره لعله يحظى بفرصة لرؤية النجم وهو يرسم ابتسامة ساخرة على شفتيه ...قال في نفسه وعيناه على علب وأكياس وهدايا كثيرة ملأت المكتب ..."هذا زمانك أخي ، وهذا العالم لك ...فلتهنأ به ، وليهنأوا بك.."

متقاعد...

اليوم ،توصل السي سعيد بإشعار يخبره بأنه تم حذفه من سلك الوظيفة العمومية ...سرت في جسده أحاسيس اختلطت بين الارتياح والتوتر ... وظل ينتظر يوم المغادرة ،مغادرة ذلك الفضاء الذي قضى فيه أربعين عاما ... استلم الإشعار وأحس بشيء يتراقص في خجل داخله ...لم يدرك سبب هذا الشعور الذي رافق هذا الأشعار ...كان السي سعيد ينتظر ذلك اليوم حتى يؤكد لنفسه وللعالم أنه أدى عمله بكل إخلاص وتفان طيلة أربعين عاما ... لم يكن الإنتظار سهلا على سعيد... كان قلقا طيلة الأيام الأخيرة ...يترقب يوم توقيع محضر الخروج بفارغ الصبر... كان يتفادى السؤال الذي كان يؤرقه ويحرمه من متعة اللحظة ،لحظة التخلص من كل المسؤوليات " ماذا بعد التقاعد يا سعيد " كيف سيمر يومك بعد أن كنت تقضي معظمه داخل المدرسة ؟ .. كان يعد الأيام بتوتر شديد ...أقيم حفل لتكريم الأستاذ و توديعه من طرف زملائه بالمدرسة ...مرت لحظات الوداع ثقيلة على الجميع ....قدمت له هدايا استلمها وشكرهم جميعا وعاد إلى منزله سعيدا ...مرت الأيام الأولى من التقاعد سريعة، قضاها يتنقل بين أهله يتفقدهم ويشعرهم بوجوده بينهم ...كم

كان فخورا بأنه أتم مشوار عمله دون مشاكل وأنه أخيرا سيرتاح ، ولا ينفك يعلن هذا الشعور لكل من يصادفه أو يجالسه... فكر في مشاريع صغيرة يزود بها دخله بعد تلك الأجرة الهزيلة التي تبقت من أجرته .. يمارس بعض هواياته التي أهملها منذ دخل سلك التعليم .. وخطط أيضا لقضاء بعض العطل في زيارة للمناطق التي لم تسعفه الأيام ومشاغل الحياة لزيارتها ..فكر وفكر، ولا زال يفكر كيف يتجنب الأخطاء التي وقع فيها بعض أصدقائه الذين قضوا حياتهم بين المستشفيات وعلب الأدوية وأحيانا يدفعهم الخوف إلى طرق أبواب الرقاة وأحيانا يلتمسون الشفاء من تجار الطب البديل ...قال في نفسه :"لن أقضي بقية عمري بين هذه الجدران ،لابد أن أضع برامج أصرف فيها أيامي بين الراحة والسفر وممارسة الرياضة وبعضا من هواياتي، حتى لا أشعر بالضجر والملل ، و سأجدد التواصل بكل الأهل والأصدقاء... الآن فرصتي لأعوض كل مافاتني في الحياة .. كل الأحلام المؤجلة حان وقت تحقيقها ،فلازال يوم الرحيل بعيدا ... أحس بالسعادة وهو يعد نفسه أن يحقق كل ذلك ...ابتسم ابتسامة فرح وارتياح وهو يتسلل إلى فراشه لينام نوما هادئا مطمئنا ... صباح الغد ، شاهد الجيران نعشا أمام باب دار السي سعيد ...سألوا أحد

أبنائه الذي أخبرهم أن سي سعيد نام ولم يستيقظ ...غادر هذا العالم ليرتاح راحته الأبدية.

زنزانة الحرية.

من قلب مدينة الدار البيضاء الكبرى،و بأحد أحيائها الشعبية القديمة ، بدأت حياة "سعيد" في التحول والتشكل ، من مراهق تعلقت أحلامه بالهجرة ،إلى حامل شهادة يعاني البطالة ، ومن متسكع صار ثريا فجأة ، إلى رمز تطاره الشرطة ...

عاش "سعيد"سنوات مراهقته يحلم بالهجرة إلى الخارج،إلا أن حلمه ظل عالقا حتى تبخر مع الأيام طرق جميع الأبواب بحثا عن عمل، و في كل مرة يعود خائبا...حاصره اليأس من طول انتظار الفرج ... وفي خضم يأسه وشدة معاناته ، قرر أن ينتقل إلى أسلوب آخر غير الإنتظار، لعل الحظ يلتفت إليه ، وستكون المواقع الإلكترونية بابه الذي سينفذ من خلاله إلى حياة الثراء والترف ...أنشأ موقعا الكترونيا وبدأ يعلن فيه عن مشاريع وهمية، استقطب بها عددا كبيرا من نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي.

نجحت الفكرة واستهوته اللعبة، و راح يسخر خبراته في المعلوميات ومهاراته في التسويق، للإعلان عن مزيد من المشاريع، وفي كل مرة ينجح مشروعه ،ينسحب ،ثم يعود لينشىء موقعا آخر يعلن فيه عن مشروع تجاري جديد

كانت سارة إحدى نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي ،فجأة ، تلقت رسالة من شخص يدعى "سعيد"، الذي ادعى أنه رجل أعمال ناجح ...كان "سعيد" جذابًا وذكيًا في حديثه، وسرعان ما أوقع سارة في شباكه.

بعد عدة أسابيع من التواصل والتعارف ، عرض عليها فرصة استثمارية مغرية في مشروعه التجاري. قدم لها وعودًا بعوائد ضخمة خلال فترة قصيرة، وأخبرها أنه بحاجة لمساعدتها في بدء المشروع.

ترددت سارة في البداية، لكنها تأثرت بالوعود الكبيرة والثقة التي بناها الاثنان معا ... همست لنفسها وقد أغراها المشروع : "إنها فرصتك التي انتظرتها يا سارة .. لم لا تجربين ؟ إنها مغامرة ،لكنها تستحق التجربة".. برقت عيناها وتهلل وجهها من شدة الفرح ثم قالت:"لابأس سأجرب ."

قررت أن تستثمر مبلغًا من مدخراتها، على أمل أن تربح الكثير، لكن مع مرور الوقت، بدأت الأمور تتغير، لم يعد "سعيد" يرد على اتصالاتها، واختفى من منصات التواصل الاجتماعي كعادته بعد نجاح كل عملية.

شعرت سارة بالصدمة والخيانة، واكتشفت أنها وقعت ضحية لعملية احتيال منظمة...أبلغت الشرطة ، كما قامت بحملات

تنبيه وتوعية المواطنين من الوقوع ضحية الإغراءات الرقمية، حتى وصل صوتها إلى المسؤولين ...

لم يتوقف "سعيد" عن مشاريعه الوهمية ، رغم تحسن حاله الذي أثار شكوك الكثيرين ممن حوله ودفعهم إلى التساول عن مصدر هذه النعمة التي ظهرت عليه فجأة...وأمام توالي الشكايات والتبليغات عن عمليات النصب والاحتيال التي يتعرض لها المواطنون، شرعت الشرطة في التحري و البحث عمن وراء هذه العمليات ..

قرر "سعيد" أن يكون مشروع هذه المرة فرصة العمر ،وبعدها سيغادر البلاد... لكن الشرطة كانت على موعد معه...تم إلقاء القبض عليه بجريمة النصب والاحتيال وحكم بالسجن مدة خمس سنوات ...

داخل زنزانة ضيقة، وجد "سعيد" نفسه مع مجموعة من الطلبة الثوريين الذين كانت كل مواضيعهم عن الفقر والهشاشة و الاستغلال والفساد ... يتحدثون بحماس عن التغيير والحرية والعدالة والكرامة ...في البداية، كان "سعيد" يتجنبهم، لكنه كان يستمع إلى حواراتهم بشغف فتصيب كلماتهم هواه أحيانا ... وكان هو -بعيدا عن ديدنهم - يدندن من حين لآخر بأغنيات للشيخ إمام التي كانت تملأ قلبه بالأمل... وهو يردد أغنية "بقرة حاحا" للشيخ إمام ، بصوته الشجي ؛كان لحنها يتغلغل في

أعماقه ...يُحمّل كلماتها كل آلامه وآماله فتتفجر من خلالها أحاسيسه وتهتز لها مشاعره لتجرفه بعيدا بعيدا عنهم ...
فجأة، بدأ الطلبة يلتفون حوله ، واعتقدوا أنه واحد من حركتهم ...شاركوه الأغنية ،فاشتعلت الزنزانة بأصوات السجناء يرددون معه بحماس :(ناح النواح والنواحة ...على بقرة حاحا النطاحة ...البقرة حلوب... حاحا ... تحلب قنطار ...حاحا ..لكن مسلوب ...حاحا ...من أهل الداار ...حاحا) ... ... أعجبوا به وبصوته ،وتقربوا منه أكثر ،فبدأ كل واحد يحكي له عن حياته و سبب دخوله السجن ... قال في نفسه :" إنهم مجرد طلبة،كل جريمتهم أنهم طالبوا بالحرية والعدالة والكرامة ...إنها مطالب مشروعة لا تستوجب عقوبه واعتقالا ...إنهم صوت هذا الشعب المقهور المغلوب على أمره... شعروا بمعاناته وحملوا على أكتافهم قضاياه وجعلوها قضيتهم المصيرية... "
ظل صامتا خجولا أمام شباب كالزهور يحمل هم مجتمع كامل و يضحي بحريته ومستقبله من أجل الآخرين ...احتفظ بالصمت كثيرا لكن أمام احتوائهم وحبهم له، شاركهم قصته مبديا لهم خجله من أسباب دخوله السجن...لم ينفضوا من حوله ، بل زادوا احتراما له وتعلقا به ،لإيمانهم أن "سعيدا" والكثيرين من أمثاله هم ضحية فساد واستغلال واستبداد ..

بدأ "سعيد" يتقرب منهم ،يشاركهم أفكارهم ويستمع إلى أحلامهم... تأثر بشغفهم وإصرارهم على التغيير...قال كمال أحد الرفاق السجناء وهو يتحدى ظروف السجن الصعبة وسوء المعاملة : " لن يركعنا سجنهم ، ولن ترهبنا سياطهم ، فإما نحن ... ليرد الآخرون : وإما نحن " ثم انفجر الجميع ضحكا ،يرددون بحماس و بصوت واحد " إما نحن ..وإما نحن"

يوما بعد يوم ،وسنة بعد أخرى،تعلم منهم معنى النضال من أجل العدالة والمساواة والحرية والكرامة ... وكلما شعر بعقله ينفتح على أفكارهم ويتقبلها ، يبدى إعجابه بهم فيلبي رغبتهم بأمسيات غنائية من أغنيات للشيخ إمام، والتي أصبحت كلماتها رمزاً لأفكاره الثورية الجديدة ...

صار "سعيد" يرى نفسه جزءا من حركتهم ...و مع توالي السنوات ،صار السجن بالنسبة له مرحلة انتقال مهمة في حياته ،ففي السجن وجد نفسه وعرف معنى الحرية و اكتشف شغفه بالقضايا الاجتماعية... تشبع بأفكار اليسار،فزاد تلاحما مع قضايا الطبقة الكادحة من العمال والمستضعفين... في السجن ،تحول من شاب مضطهد إلى صوت للثوار ورمز للأمل ...عاهد رفاق السجن أن يواصل حمل المشعل ويصطف إلى جانب رفاقهم رافعا شعار النصر ...

غادر "سعيد" السجن ولكن ليس كما دخله ، يحمل في قلبه روحا هشة يائسة ،بل غادره وهو يحمل في قلبه روح الثوريين وصلابتهم وإصرارهم ...حول معاناته إلى دافع قوي للتغيير مستخدما موهبته الغنائية في التعبير عن قضايا مجتمعه...

ذاع صيته بين الشباب اليائس والحالم بالتغيير، فترددت أغانيه في أوساطهم مما أشعل حماسهم وزادهم صلابة وقوة وإيمانا بالنضال لمحاربة الفساد ...شعرت السلطات الأمنية أن "سعيدا"بدأ يؤثر على الشباب وبدأت كلمات أغنياته تتغلغل إلى أفكارهم وتدفعهم إلى مواجهتهم كل لحظة ...كانت آخر سهراته مثار قلق وإزعاج كبير لهم ، فبدأت في مراقبته وحصاره ، حتى جعلوا من السجن بيته الثاني حيث قضى أجمل سنوات عمره بتهمة تهديد السلم الاجتماعي والأمن العام.

قبل عيد العمال بأيام ، تم الإعلان عن موعد أكبر لقاء "لسعيد" مع جمهوره ، في سهرة غنائية ، بعد خروجه من السجن ،سيحضرها الشباب من داخل وخارج الوطن ... امتلأت طرقات وأسوار المدن بصور "سعيد"...صار الكل يترقب بشغف يوم اللقاء ...إلا أنهم استفاقوا ذلك الصباح على فاجعة حادثة سير مأساوية ذهب ضحيتها "سعيد" في ظروف غامضة..

في حينا غرباء عزب .

حين يشدني الحنين الى والدي ،لا أتذكره في تضحياته الكثيرة من أجل اسرته فحسب ولكن أحيانا كثيرة لمواقفه المشرفة ...مواقف كانت تجعلني أفتخر ببنوتي له وأعلن فخري به في كل مناسبة وحين ...لم يكن والدي متعلما .. لم يرتد يوما مدرسة ولم يحظ يوما بكتاب بين يديه، لكنه كان يملك رجولة وشهامة ومواقف قل نظيرها بين رجال حينا في ذلك الوقت ...لم يكن يتدخل في شؤون الناس أو يسعى إلى أذيتهم مهما يحدث ..لم تستطع بذلته الرسمية أن تحوله ألى رجل خشن قاس بقلب خال من الرحمة ، بل كان رحمه الله طيبا ودودا سباقا إلى فعل الخير مع البعيد قبل القريب ...كان صاحب نكتة يَسعَدُ الجميع بلقائه و قضاء وقت بجواره او بضيافته ... كان أبا ...وصِفتُه هذه جعلته ذات يوم يقف موقف شهامة ورجولة كأب...وقف في وجه سكان حينا جميعهم ليقول كلمته الشهيرة والتي لا زالت عالقة بذاكرتي" اللي عندو شي بنت يربيها " ...كان بالحي منزل محاذ لمنزلنا تملكه أسرة غيرت مقر سكناها ...و شاءت الظروف أن يصبح يوما محلا للإيجار...انتقل إليه بعض الطلبة الذكور بعد بحث مضن عن مكان للسكن، وبعد فشلهم في الحصول على سكن جامعي ...وجود هؤلاء الطلبة

الذكور بيننا لم يعجب سكان الحي ...رفضوا وجودهم بيننا أو بالأصح بمكان تواجد بناتهم ونسائهم ...لم يشهد لهم أحد تصرفا مخلا بالآداب ولم نعرف لهم تعديهم لأصول "الجورة "كأنما أحد أخبرهم بأخذ الحيطة والحذر كلما دخلوا أو خرجوا من الحي حتى لا يثيروا قلق السكان ...لكن كل هذا لم يشفع لهم ...اجتمع بعض الآباء والآبناء ذات يوم ، وقرروا أن يطردوا هؤلاء الطلبة ،وحجتهم أنهم ذكور عزب ولا يصح للذكور العزب أن يقيموا بين ظهراني بناتهم ونسائهم ...لا يريدون ان يقع نظرهم عليهن أثناء دخولهم وخروجهم ...

ذات مساء ، اجتمعوا لتنفيذ قرار الطرد ...انتظروا حتى يأتي والدي من أداء صلاة العصر ...وبينما هو يهم بالدخول إلى منزله ، ناداه أحد الجيران ثم أسرع نحوه مهرولا يستوقفه كأن الأمر جلل ...رحب به أبي مبتسما مهللا كعادته ... ألقى نظرة على جموع السكان فأثاره تجمعهم ...قال مستغربا" خير ؟ ياك لاباس ؟ لم أر أحدا منكم في المسجد... أظن أن الأمر خطير جعلكم تعطلون صلاتكم بسببه ؟ "..قال الجار " مارأيك في وجود هؤلاء الطلبة بين بناتنا ونسائنا.؟ قاطعه والدي سائلا بحزم ..." وما علاقة هؤلاء الطلبة ببناتنا ؟" رد بكل ثقة ." كنا اتفقنا نحن سكان الحي أن وجود هؤلاء الطلبة العزب بيننا غير مقبول أخلاقيا ولا يصح أن تنكشف بناتنا ونساؤنا على هؤلاء خلال

تنقلاتهن فيما بينهن ...وجئنا نطلب انضمامك ألينا بحكم أن لك بنات أيضا ،،" لكن أبي لم يفكر قليلا حتى كشف عن رفضه لقرارهم وأعلن عن رأيه قائلا " ولي أبناء أيضا ..وكلهم في مدن أخرى وفي بيوت أخرى بين سكان آخرين ...فهل يعقل أن أطرد طالبا وأمنعه من السكن بالحي لمجرد أن لي بنات ولا يحق أن يتكشفن عليهم ؟ هل يعقل أن أطلب لابني الشاب العازب سكنا بين الجيران بينما أرفض أن يسكن بجواري شبان عزب ؟ أنتم أيضا لكم أبناء خارج مدينتهم .فأين يسكنون الآن ؟ في بيوت خاصة معزولة عن السكان ؟ أي منطق هذا الذي تفكرون به ؟و هل رأيتم منهم ما يستوجب طردهم ؟ ردوا بخجل " الصراحة لا ..."إذا دعوا الطلبة في أمان منكم ومن هواجسكم وعاملوهم كأبنائكم سيعاملونكم كأبائهم ... واللي عندو شي بنت يربيها ، و اللي عارف شنو عندو وخايف، يسد عليها " ثم تركهم ودخل دون أن يضيف شيئا

القرار الصعب

انتظر كثيرا اليوم الذي ينشر فيه مقاله في الجريدة بعد كل محاولاته الفاشلة ،وخلال هذه المحاولات كلها لم يخالجه شك في قدراته وامكانياته ولكن الوقت لم يحن ليقتحم عالم الصحافة ،...كان كل صباح قبل شروق الشمس يتصفح الجريدة على أمل أن يحظى مقاله بمكان له في ركن من جريدة ...لم يعرف اليأس طريقه إليه يوما ...تسلح بالصبر والشجاعة والعزم على مواصلة الكتابة والبحث عن المواضيع التي تستأثر باهتمام القراء وعلى تغطية مايجري على أرض الواقع ونقله بكل جدية وشفافية وامانة بالإضافة إلى اهتمامه بالبحث عن تطبيق المهنية فيما يكتب دون إغفال جانب تطوير الذات ، فعمل على استقراء كل الأحداث التي تجري في العالم والمتغيرات التي تحدث يوما بعد يوم حتى نضجت كتاباته وفرضت نفسها على بعض الجرائد الإلكترونية وفي مواقع التواصل الاجتماعي الذي طور فيه محتوياته ونمى فيه قدراته وغير فيه بعضا من قناعاته وأفكاره ...صارت كل مقالاته واستطلاعاته والقضايا التي يطرحها تلقى ردود فعل إيجابية واستحسانا لدى المتابعين من داخل الوطن وخارجه... ...وبنى جسرا من الثقة والاحترام بينه وبين المتابعين، مما جعل اسمه يتداول كثيرا

ويستأثر باهتمام بعض" الجهات" ... نسي كل تلك المحاولات الفاشلة التي كانت دافعا لأن يغير اهتماماته ورؤيته للاعلام والصحافة...

جاء يوم المفاجأة ، كان على موعد مع الفرح...لقد تم نشر اسمه تحت مقال قديم له بالجريدة ...لم يصدق الخبر ...كيف لهذا المقال البسيط ان يحظى بفرصة النشر الآن ،؟..طرح تساؤلات كثيرة حول هذا الأمر المثير للاستغراب... ... كانت فرحته لا توصف وهو يستقبل مكالمة من رئيس التحرير بالجريدة يهنئه على نجاح مقاله وعلى شجاعته في طرح القضايا الشائكة التي تثير الجدل ولم ينه مكالمته قبل أن يخبره أن كل مواضيعه ومقالاته على الرغم من أنها لم تحظ يوما بفرصتها في الجريدة فإنها بالتأكيد حظيت باهتمامه وسيعمل على إعادة قراءتها و نشرها عندما يحين وقتها ...صمت قليلا ...سرت في جسده رعشة ...ابتسم و شرد للحظات وترك رئيس الجريدة يتكلم وحدة على الهاتف ...شعر بغيابه ...لم ينتبه إلا وهو يردد ما رأيك ؟ ..تلعثم واهتز الهاتف بين يديه من شدة التوتر ...خجل من نفسه لسوء تصرفه فلم يجبه لأنه لم يسمع موضوع اقتراحه ..لكنه تفهم اضطرابه ...زادت فرحته اكثر وهو يخبرنه انه بصدد مناقشة قرار تكليفه بمنصب كاتب عمود في الجريدة ولكن قبل ذلك عليه أن يظهر

بعض الأدلة التي تبين قدرته على تجميع الفقرات معا وإنشاء مقالة متماسكة تبلغ مقاصده إلى القراء بكل سلاسة ...أغرته الفكرة ...وجدها فرصته ليثبت جدارته وأحقيته لهذا العمود وهي فرصة أكثر لينتشر ويحقق حلمه ..أبدى سعادته بالقرار كما أبدى استعداده للعمل مع الجريدة دون شروط حتى ينال ثقتهم ...هنأه وتمنى له التوفيق ...لم يكن طريق النجاح سهلا لكن حبه وعشقه للصحافة كان يدفعانه إلى التفاؤل والإصرار على إثبات وجوده في عالم الصحافة ...دخل غرفته منتشيا يتخلل نشوته بعض التوتر ..تساءل..

"-لماذا تم نشر ذلك المقال القديم الآن ؟ لماذا وقع الاختيار علي لشغل منصب كاتب عمود ؟هل حقا أملك هذه الكفاءة لتحمل هذه المسؤولية ؟" لم يمر الأمر دون تفكير وقد بدا له غريبا ويطرح أمامه أكثر من علامة استفهام ...بات التفكير في الموضوع شغله الشاغل وكلما زاد انشغالا به كلما اتسعت دائرة شكوكه وبدأ يربط بين ما وصل إليه من انتشار كبير على مواقع التواصل الاجتماعي من خلال مقالاته الجريئة وطرحه للملفات الشائكة وفضح للفساد الذي ينخر البلاد وبين هذا الاهتمام المفاجىء بمقال قديم ...ورغم كل هذه الشكوك بقي متمسكا بحلمه في العمل بالجريدة ينتظر الاتصال به ليبدأ العمل....

"-لقد وقع الاختيار عليك لتقوم بتغطية كاملة لفعاليات المهرجان الدولي السينيمائي بمراكش،ونحن ننتظر قرارك."

قرأ الرسالة الالكترونية ثم ، تساءل في دهشة من الخبر : مهرجان مراكش ؟. .

رحيل.

كنت في المستوى الثاني حين اضطر والدي -بحكم ظروف عمله- الانتقال من مدينة جرادة مسقط رأسي إلى مدينة وجدة ...لا أعرف لمَ شكل الرحيل منذ ذلك اليوم غصة تقطع أنفاسي كلما مرت الكلمة أمام مسمعي ...ترتعد أطرافي وتزداد نبضات قلبي حتى أخاله سيتوقف ... لم تكن مدينة جرادة تلك المدينة الآسرة ....كانت مدينة مهمشة جغرافيا واجتماعيا ..يعيش أغلب سكانها ظروفا معيشية صعبة...لكنني ارتبطت بها ارتباطا طفوليا قويا ...استطعت أن أحظى بذكريات وصور جميلة خلال فترة تواجدنا بها ...ظلت بعض الأسماء ترافقني طيلة حياتي ...الرحيل عن الأمكنة كان يرهبني أكثر من فراق الأشخاص ربما لأنني لم أكن قد جربت بعد ألم فراق الأحبة ...منذ ذلك اليوم وأنا أخاف فراق الأمكنة ....كنت شديدة الارتباط بها أكثر من ارتباطي بالأشخاص لأنني لم أكن أستطيع خلق علاقات بهم واستطاع المكان أن يملأ فراغ الأشخاص في حياتي ...كان ولا زال للمكان أثره القوي في نفسي...

لا زلت أتذكر لحظة سمعنا دقات على باب القسم لحظة نودي علي من طرف المدير لألتحق بوالدي الذي جاء ليصطحبني قبل موعد الخروج ...ترى ماذا حدث ؟ لم جاء والدي إلى المدرسة

على غير عادته لينتزعني فجأة من بين صديقاتي ؟ ...أمرني معلمي لحظتها أن أجمع كل أغراضي وأودع صديقات القسم ..ثم توجه إلى التلاميذ وأخبرهم أنني سأرحل عنهم وعن المدينة إلى مدينة أخرى .. نعم ... سأغادرهم إلى الأبد ... كان شعورا صعبا على طفلة في سني أن تتقبل هذا التغيير المفاجيء ...كنت أشعر بالغبن لأنهم ينتزعون جذوري من تربتي ليلقوا بي في تربة أخرى قد لا تناسبني فأذبل وأموت ...سكنني يومها الحزن وألم الفراق ...تركوا بداخلي فراغا كبيرا ...خيل إلي أن الحياة ماتت بداخلي وأنا ألقي نظرتي الأخيرة على وجوههم وهم يلوحون لي بأيديهم ويرددون ،مع السلامة ...بدوت قوية كجبل راسخ في عمق الأرض ،لكن داخلي كان يتمزق لألف قطعة ...اكتفيت بالصمت لأن ألمي كان أكبر من كل الدموع الموجودة بعيني ...قبل أن يحل الظلام صعدنا جميعا إلى الشاحنة التي ستقلنا ...القلوب منفطرة و بعض العيون تدمع خفية وهي تودع آخر أثر لمنزلنا البسيط الدافيء ... كنت أتساءل ...ترى كيف سنعيش بعيدا عن هذا المنزل الذي احتوانا وغمرنا بدفئه سنوات ؟.. كيف سيتحول إلى مجرد ذكرى ؟...

كل العيون كانت مشدودة إلى المنزل وهو يصغر كلما ابتعدنا حتى اختفى ، ثم إلى الحي ثم إلى البنايات حتى آخر الطريق

...بدا الرحيل حقيقة ونحن نفقد آخر أثر للمنزل ،للحي ، للمدينة ... استسلمنا للنوم وفي القلب حنين وأمل في العودة لاينقطع ..

غسالة كهربائية.

دخلت سناء شهرها الثالث ... زادها الحمل تعبا ،فلم تعد تقوى على الجمع بين العمل كموظفة بالبريد وبين تلبية طلبات الزوج والأولاد وأشغال المنزل ، فقررت أن تخصص جزءا من راتبها لشراء آلة تصبين تخفف عنها شيئا من التعب ...

أخبرت زوجها أنها ترغب بآلة تصبين ، وقبل أن تنهي كلامها ثار في وجهها :

"-من أين لي بثمنها ؟ ولماذا هذه الغسالة ؟ حاولي فقط ألا تتركي الملابس تتراكم حتى لا يرهقك تنظيفها دفعة واحدة. "

نظرت إليه في خيبة وقالت..

"-أنا أملك ثمنها ،أريدك فقط أن ترافقني إلى المتجر لنختار واحدة... "

وافق الزوج على الفور ..مال نحو زوجته فحضنها وأبدى تأثره بتعبها ثم أسرع إلى غرفة النوم ...وبعد قليل خرج ليصطحبها إلى المتجر ...نظرت إليه في استغراب وقالت...

"-إلى أين ؟.

رد بلطف شديد لم تعهده ..

"-حبيبتي ،ألم تقولي إنك تريدين غسالة ؟ أنت فعلا تحتاجينها ،كان بودي أن أحضرها لك ،لكن أنت تعلمين ، فأنا لا أبخل عليك بشيء ... "

وهما يتنقلان بين ممرات المتجر حيث عرضت مختلف أنواع الماركات لمختلف الآلات الإلكترومنزلية لم يهتم أبدا بأي نوع مما عرض من الغسالات ...كان كل تركيزه على شاشات التلفاز التي علقت على طول جدرانات المتجر بكل الأحجام والماركات ...ترك زوجته وراح يتنقل بين هذا النوع وذاك...وهذا الحجم وذاك غير مبال بما تريده سناء ...وقع اختيارها على غسالة طالما تمنتها، ثم نادت على فريد ليعطي رأيه وتأخذ موافقته على شرائها ... أخذ فريد يتظاهر بمعاينة البضاعة من كل الجوانب غير مهتم بما بين يده، فكل تفكيره بالتلفاز ذي الحجم الكبير و الشاشة المسطحة ....إنها فرصته الآن ولن يضيعها ... نظر إليها متأففا ، ثم سألها يحاول أن يثنيها عن قرارها...

"-هل أنت مصرة على شراء غسالة اليوم ؟ ."

"-ماذا تقصد ؟ ولماذا نحن هنا ؟ "

نظر إليها في تودد يحاول أن يغير رأيها...

'-انظري حبيبتي إلى تلك الشاشة على الجدران ، مارأيك فيها.،؟ أليست تحفة ؟، كم تمنيت أن تزين بيتنا.. إنها صنعت

خصيصا لذلك الركن من الصالون حبيبتي ،صدقيني إنها فرصة ...اااه لو كنت أملك ثمنها !! ما كنت لأتردد لحظة واحدة ...سأحاول أن أقتصد في المصاريف وأدخر جزءا من أجرتي كل شهر حتى أوفر ثمنها" ...صمت قليلا ثم أردف قائلا..
."''-تريدين رأيي؟ أنا لا أريد غسالة الآن ...لا نحتاجها."
أضاف مازحا:
" -كنت دائما تقومين بهذا العمل وأنت سعيدة لا تشتكين من شيء ،أنسيت كم كنت ترفضين اقتناء غسالة ؟ ماذا تغير ؟ يبدو أنك كبرت حبيبتي. "
ثم رسم على شفتيه ابتسامة مكر وسحبها نحو شاشات التلفاز
"-تعالي انظري ...ألا نستحق مثل هذه الشاشة في بيتنا ؟ كم هي رائعة ؟ أعجبتني كثيرا ....مارأيك ؟ سنشتري هذه . .. لقد قررت..."

حايك مي الباتول..

ظل الأمل يحذوها في عودته ,يخبرها قلبها أن انتظارها لن يطول و ستحظى بلقاء ابنها الغائب قريبا ... لم تصدق يوما أن وحيدها رحل عن عالمها طالما لم تر جثته وتدفنها بيديها وتضع شاهدا على رمسه ..فهو لم يودعها كعادته قبل أن يسافر...

كانت تغادر بيتها صباحا لتنتظره على الشاطيء ...تلتحف حايكها المطرز الذي رفضت أن تبدله بغيره وعاشت طول حياتها تلتحف به دون نساء المدينة حتى اشتهرت (بمي الباتول مولات الحايك... (تخبر كل من رأته أن اليوم عودة ابنها الوحيد ،واليوم ستلتقي بابنها الغائب ...تقضي يومها جيئة وذهابا على الشاطيء ..عيناها لا تغادران امواج البحر الهائجة ...أحيانا يخيل إليها أنه يناديها ...يستنجد بها لتنقذه ، فتهرول إليه لتمسك بيديه ، لكن محاولتها تخيب فتعود إلى مكانها والخيبة تعصرها ...تجلس القرفصاء تناجيه وتتحدث إليه ...كانت لا تعود إلى بيتها إلا بعد أن يحل الظلام وتهدأ الحركة ...ينهكها التعب والجوع فتهوي على فراشها كجثة هامدة ...ظلت على هذا الحال أياما وفي كل يوم تجلس على الشاطيء تخاطبه وتناشده أن يعود ،فقد أنهكها الانتظار وأوجعها غيابه

...وكثيرا ما كانت تخبره أنهما سيلتقيان ، فقلبها المتعب يخبرها بهذا ، وبأنه ما عاد يقوى على الانتظار والحنين إليه....

هذا الصباح ، انتبه المصطافون أن " مي الباتول " لم تسبقهم كعادتها إلى البحر ...انتظروا ثم انتظروا ، لكن لا أثر لها ،فذهبوا إلى أنها ربما تعبت ويئست من عودة ابنها واستسلمت لحقيقة موته...فجأة، يحمل الموج الغاضب إليهم حايك مي الباتول ، لينعي خبر رحيلها للقاء ابنها الغائب...

عنف الزهور.

دخلتُ المقطورة ثم أخذت مكاني بين الركاب...الكل منشغل بهاتفه...لا شيء يملأ المكان غير الصمت وروائح العرق المنبعثة من الأجساد والممزوجة بروائح بعض العطور المنفرة ...وقبل أن يتحرك القطار ،طلت علينا بوجهها البشوش ،تسبقها رائحة عطرها المميز الفاخر التي سرت في الجميع مسرى الخذر ،فاتسعت أعينهم الفضولية في تفاصيل جسدها الذي زاده لباسها الضيق والمثير بروزا و إثارة ... نظرت الى مكانها وإذا بها تشير ألى شاب ليسمح لها بالجلوس مع ابتسامة نجحت في تقاسمها مع الجميع ...انتبه الشاب إلى أنه يجلس مكانها ، فاعتذر وقام بكل لطف ورقة يحاول مساعدتها على حمل حقيبتها و وضعها على الرف ...سحبت ابنتها إلى جانبها غير مهتمة بعيونهم التي تتطلع أليها باهتمام غريب ...بدت مسالمة وديعة كزهرة نبع الجبل ،جذابة تسحر العين ... تركوا هواتفهم و انشغلوا بها وبكل حركاتها، فغاب كل واحد منهم في ملكوته الخاص يعيش مغامرته مع هذا الجمال ويحلم باكتشاف عالمه الساحر والغوص في تفاصيله...

بالركن المحاذي للنافذة يجلس عجوز لم تفارق الابتسامة شفتيه،ظل يحملق فيها كالأبله يتفحص جسمها الجذاب متجاهلا طلبات زوجته المريضة وحديثها معه ...

كنت أراقب نظراتهم الفضولية التي تكاد تفترسها لقد تركت فيهم حالة انبهار عجيبة ...رن الهاتف ...إنه زوجها... أخبرته أن القطار على وشك الوصول ألى محطة الرباط ، وبكل أنوثتها الطاغية ، وقفت ترتب هندامها وتتأكد من زينتها ... أخرجت من حقيبتها مشطا ومرآة وطفقت تصفف شعرها على مرآى من الجميع ....حملت حقيبتها ،ودعت الجميع بصوت رخيم يسحر الأذن مع ابتسامة جذابة ،ثم غادرت المقطورة ..لم يستفيقوا من حلمهم الجميل إلا على صوتها العذب وهي تتمنى للجميع سفرا ممتعا ...عادوا إلى واقعهم البئيس ساخطين...لقد صدمهم انسحابها غير المنتظر ...شعروا أن متعتهم لم تكتمل ...فما إن خطت خطواتها الأولى خارج المقطورة حتى أخذوا جميعا يستغفرون الله ويضربون كفا بكف على ما وصلنا اليه من انحلال أخلاقي وانهيار لقيمنا الأسلامية ...شهروا سيف الدين والأخلاق وانهالوا عليها بالشتم واللعنات ...عجبت كيف تحولوا فجأة من زهور وديعة ، منبهرين معجبين بالجمال وحالمين بامتلاكه، الى دونكيشوطات مخجلة تحاول أن تغطي على بؤسها وتتستر على فشلها وتشظيها...

سألت نفسي في دهشة " ألهذه الدرجة أزعجهم انسحابها المفاجىء؟ كنتم سعداء بحضورها بينكم ولم يبد أحد تذمرا"
ولأن كلامهم عنها كان مستفزا وعنيفا ،رسمت على ملامحي شيئا من الاستغراب وابتسامة ساخرة ثم سألتهم:
"-ما القبح الذي رأيتموه فيها ،جعلكم تخرجون كل هذا العنف وهذا الغضب ؟ لماذا انتظرتم حتى غادرت ثم شحذتم ألسنتكم لتهاجموها ؟ إن فعلت إثما فلها رب يحاسبها ."
بدا لهم كلامي غريبا بل معيبا و بدت نظراتهم كأنها سهام شرسة وجهت نحوي فجأة ،أشعرتني أنني أزعجتهم كما أزعجهم وجود مختلف بينهم عرى حقيقتهم وكشف زيفهم ، ،لكن ذلك لم يمنعني أن أخبرهم بكل جرأة " أن هناك شيئا اسمه الاختلاف وأنه علينا أن نتعلم كيف نحترم بعضنا ونحترم اختلافنا وألا نحكم على الناس من مظاهرهم ،فالناس أحرار فيما يقولون و يفعلون طالما لا يضرون أحدا. "
أثار كلامي أحدهم ،فنظر الي باحتقار وعنف شديدين مبديا رفضه الشديد للباسها وشكلها المثير خاصة وأننا في شهر كريم، إذ كان أولى بها أن تلبس لباسا محترما وأكثر حشمة ،وتراعي أنها مسافرة وقد تختلط برجال غرباء ...كان عليها أن تحتفظ بزينتها لزوجها وداخل بيتها فمثل تلك المناظر تثير غرائزهم ،بل وتستفز رجولتهم ،لكنهم لم يفكروا لحظة أنه

كان أولى أن يغضوا الطرف ويجنبوا أنفسهم شر الفتنة و إثم الغيبة في هذا الشهر الكريم .. فمنذ أن دخلت المقطورة لم تغادرها أعينهم ...نسوا أنهم في شهر كريم كما نسوا أن الغيبة حرام . .

آلمني كثيرا أن أرى كل هذا العنف من شباب كالزهور ، أدركت حينها أن عقولهم و كأنها أصابتها لوثة ، أفقدتها التمييز ... فكيف يحملونها مسؤولية ضعفهم وعجزهم عن السيطرة على غريزتهم؟ هي لا يعنيها كيف يفكر عقلهم ولا ما يحدث في أجسادهم ولا ما يستفز رجولتهم .. .إنهم أيضا مثيرون بلباسهم وتسريحات شعرهم وعطورهم لكنها احترمت حريتهم وغضّت الطرف وغادرت دون أن تلعن أوتسب وما فكرت أن تحجر على حق أحد في الاختلاف عنها..

كنت كلما حاولت أن أقترب من تفكيرهم، يصابون بخوف وتوجس من شيء جديد وغريب قد يربكهم ويزعزع معتقداتهم ...فأراهم في كل سؤال يهربون نحو الخلف ويختبئون خلف قناع الثوابت ، يتجنبون الدخول في مغامرة السؤال ومفاجآته. .. كل فكرة جديدة، كانت تحدث فيهم التهابا، وكان ذلك واضحا في الهستيريا التي تفضحها ردودهم وهم يدافعون عن أفكارهم و يحاولون إخفاء حقيقتهم واضطرابهم وازدواجيتهم التي كشفتها لحظة متعة لم تكتمل

لمست في كلامهم إصرارا على عدم تقبل أي رأي مختلف ...يصرون على الجهل والغباء وعلى العنف...

"أيقنت ان سلطة القبور لازالت حاضرة بيننا بقوة ... وأن الاموات لا زالوا يتحكمون في عقولناومصائرنا."

،فتأسفت لحال شباب كالزهور ، يعيشون منفصلين عن واقعهم مغيبين مشبعين بالوهم مثخنين بالهوس، يحملون كل هذا العنف بعقولهم الفتية ...شعرت باختناق شديد وسط هذا الجو المشحون بالعنف والتناقضات ...حملت حقيبتي وغادرت المقطورة لأتنفس هواء نقيا ولأمنحهم فرصة أن يعيشوا وهم الانتصار لجهلهم ولزيف ما يعتقدون,

تسلمت رسالة قصيرة على الهاتف ..."أريد لقاءك. "
خفق قلبها ، لكن خفقانه هذه المرة كان مختلفا . لم يعتد رشيد أن يبعث رسالة بهذا الجفاف... أسرعت إليه وفي والبال تساؤلات أبت أن تجيب عنها قبل اللقاء...
"سأرحل بعيدا " ...نظرت إليه غير مصدقة ..."إلى أين ؟ أنت تمزح؟"... "كان بودي ألا أصل إلى هذا القرار، لكنني لم أستطع أن أخفي الأمر عنك وأرحل دون أن اخبرك ..لقد انتهى كل شيء بيننا ، وعلى كل منا أن يعيش حياته بعيدا عن الآخر....الأمر مؤلم ،لكنها الحقيقة، لهذا سأرحل بعيدا... "
ألجمتها الصدمة ..اكتفت بالنظر إلى عينيه وهو يعلن عن وداعه و عن قرار الرحيل بدون ذكر الأسباب ...لم يهمه تأثير قراره على نفسيتها ...وفي كل مرة تحاول أن تسأله ، تتراجع ... تنتظر منه خطوة أخرى ..."ربما هو يمزح كعادته ليجرب ردود فعلي التي كانت تفرحه"
انتظر رشيد ردة فعل نوال نحو قراره ، لكن نوال - هذه المرة - احتفظت بالصمت .لم تأخذ الموضوع على انه مزحة بل اعتبرته صفعة من القدر لا قدرة لها على صدها أو ردها...داخلها ينهار بكلمة الرحيل ،كلمة دقت حروفها في القلب بمسامير ونزفت

لها الروح في صمت ثقيل ... لم تنتظر أن يفضفض أكثر كما كانت عادته حين تضيق به الحياة ،فلا يجد إلا صدرها الحنون ، وقلبها الرحب ليشكوه آلامه و يستودعه آماله وأحلامه . إحساسها أخبرها أن كلامه هذه المرة جاد ؛إنه يفضل الرحيل بصمت . و قبل أن يغادر سألها :" لم تقولي شيئا؟ ". بكل ثبات ردت أن القرار قراره ولن تناقشه فيه طالما اتخذه لوحده ثم همت بالانصراف، إلا أن طريقة كلامها معه ، وهدوءها أمام قرار ينهي سنين من عمرهما معا فجأة، ،وبدون أسباب ، استفزته وأثارت شكوكه . رفض أن تتركه قبل أن تكشف عن سبب هذا البرود الذي قابلت به قراره ،فهو لم يعتد منها ذلك... ربما كان ينتظر شيئا آخر ، لكن نوال لم تفعل ، واكتفت بالصمت والنظر إليه مليا وهو يمزق قلبها أشلاء ، وينسف أحلامهما ذكرياتهما معا نسفا ،حتى يسقط تماما من نظرها...

ظل يصرخ ويرميها بكل القذارة التي فضحت معدنه ،وكشفت حجم الخيبة التي عاشتها سنوات ، و أدركت لوثة الوهم التي اختطفت سنين من عمرها ..أمسك بذراعها بعنف وهو يصرخ : "مابك؟ ...اصرخي ...قولي شيئا ...دافعي عن حبك وسنين عمرك وأحلامك التي تنهار أمامك فجأة ...برودك يستفزني" . ثم ينظر إليها بعينين يملأهما الشك فيقول : "أم كنت تنتظرين هذا الانفصال ؟ حتما وراء برودك هذا سبب و ينبغي أن أعرفه

،ربما كنت تخونينني ،لم تكوني وفية لحبي ...لم تكوني صادقة في حبك لي"..

ولازال رشيد يخطيء ويخطىء ...يسقط و يسقط ...يبتعد و يبتعد إلى أن غادر عقلها وتفكيرها إلى الأبد ...نظرت إليه بكل هدوء و ثقة ثم سألته" ألم يكن القرار قرارك؟"..."قال:" بلى" ..."هل فكرت فيه مليا قبل اتخاذه؟" ...قال: "بالتأكيد "..."هل وجدت أن في صالحنا هذا الانفصال ؟ ".قال : "لو لم يكن في صالحنا لما أقدمت عليه ".. "ألم تؤلمك أن تنتهي سنوات العمر التي قضيناها معا، بهذا الشكل ؟" ... قال: "الأيام كفيلة بأن تنسينا" ... "إذن ، ماذا تنتظر مني بعد كل هذا الوضوح وهذه الحقيقة؟ ماذا كنت تنتظر مني أن أفعل ؟ أن أتوسلك مثلا لتتراجع عن قرارك لأنه سيدمرني؟ أم أنهار بين يديك واتشبث بتلابيبك حتى تبقى في حياتي ؟ أن أستعطفك وأتذلل إليك ، حتى ترضي غرورك المريض وثقتك الزائدة بنفسك ؟ ..أنا فقط وافقتك على قرارك ...وجدتُه لصالحنا كما وجدتَه أنت لصالحنا ...لم أتهمك بالخيانة ولم أرمك بسوء ولا شككت بوفائك وإخلاصك لي ولحبي، كان ذلك قرارك وكنت مجبرة أن أحترمه ،والآن أنت مجبر على احترام قراري ...فعلا انتهى كل شيء بيننا ،وسأرحل الآن ،ودون ندم ".ثم تركته مصدوما من كلامها مذهولا أمام جرأتها و قوتها و انصرفت ...غادرت قبل أن يثنيها

ضعفها ، تحاول أن تحجم دموعا جامحة ترفض التوقف في محجريهما ، وتخمد دخان أنفاس تحترق داخلها ...تصم آذانها عن صراخ مشاعرها المجروحة وهي تسمعه يردد كلمات الوداع بكل برود ،وكأن الأمر هين و درب النسيان سيسيرانه وهما في مأمن من لسعات الذكريات...

...وفي طريق العودة إلى البيت ، مر على دكان الفاكهاني ،ثم خرج منه يحمل كيسين ...هرول نحو موقف الحافلات عساه يحظى بركوب أول حافلة تقله إلى بيته ...لقد بات يضنيه طول الانتظار.. والازدحام... والتدافع... والصراخ ...ماعاد يقوى على الركض ،فقد أثقلت خطاه كثرة همومه وانشغالاته ومسؤولياته التي زادت بعد وفاة والده ... صار أكثر عزلة وانطواء ...يحمل حزنه بداخله... يبكي ويعاني في صمت ...يتظاهر بالقوة والسعادة في عز ضعفه...تغيرت كل أولوياته ...صار يحلم أن يحظى بإجازة يريح فيها هذا الجسد المنهك، وينعش هذا القلب الخالي إلا من مشاعر باهتة ،ويرسم على هذا الوجه الذابل فرحا هجره من سنين..

مر على شلة من الشبان وهم يتراكضون في فرح طفولي ...يملأون المكان حبورا ...يوزعون الابتسامات على المارة تارة وينفجرون ضحكا تارات أخرى ...يرقصون على نغمات موسيقة حية مرحة كتلك التي كان يهتز لها بدنه يوما ...شده منظرهم ...توقف يتابع نشاطهم ومرحهم غير مبالين بمن ينظر إليهم من المارة ...ابتسم قليلا ورافق ذاكرته إلى زمن ليس ببعيد، حيث كان واحدا من هؤلاء الشباب، يعيش الحياة بكاملها ..يسرق منها

كل لحظة فرح قد لا تعود . . لم تثنه عن ذلك متاعب الحياة ولا مشاغلها ...راح يتساءل :

"-كيف مر العمر بسرعة ؟ كيف انفرط الزمن مني و انجرفت مع تيار المسؤولية واستسلمت للمشاكل وسمحت لها ان تنتزع مني الحياة التي استحقها ، لأنتهي إلى هذه الحياة الجافة المملة ؟ ما أقساه من إحساس ! ...ها أنا اليوم أقف عاجزا منهكا أتذمر طول الوقت ...هجرني الفرح وغابت عن وجهي الابتسامة ...منذ وفاة والدي نسيت نفسي حتى اهترأت مشاعري وشاخت أطرافي وذبلت أحلامي وانفض الأصدقاء من حولي ...كبرت دون أن أعرف.. "

بدأت الآهات تخرج تباعا، والألم يعصف برأسه ... نظر في يأس إلى شلة الشبان ثم قال:

" -وددت لو أستطيع الركض مثلكم ،أن اشارككم أحلامكم ،أن اكون شابا مفعما بالحياة مثلكم..."

فجاة انتبه ألى نفسه ،أفلت الكيسين من يديه وراح يتفقد وجهه وشعره وكل أطرافه وهو يحاور نفسه :

"-هذا أنا ...رضوان .. ماذا يمنعني أن أكون أحد هؤلاء الشبان ؟ .. بل الحقيقة أنني ذلك الشاب الذي كان قبل سنوات قليلة محبا للحياة،مقبلا عليها ،فكيف نسيت نفسي ونسيت أن أعيش؟كيف حرمت ذاك الطفل الذي بداخلي أن يعيش ؟:"

ومن قال إنك عجزت ؟ ... لازلت شابا ...لازلت قادرا على الركض ...على الحلم ...على السقوط والفشل ...على القيام والبدء من جديد ...لا زلت قادرا على الحب والعطاء..."

"-لكنني سمحت للزمن أن يسلبني كل هذا " اختلطت بداخله مشاعر اليأس والأمل وتضاربت رغبته في الإقبال على الحياة بالخوف من التغيير ... الصور تتزاحم في خياله وتتدافع غاضبة أمام عينيه،تريد أن تخرج للحياة ...أن تتحرر ...ما عاد للجسد من قوة لمقاومتها ، فاستسلم لها ...

في هذه اللحظة ،أيقن رضوان أن ما يؤلم حقا ليس أننا نكبر ،ولكن لأننا نعيش بلا حلم و بلا حب...لأننا نعيش للآخرين... لأننا نعيش نصف حياة...

انحنى على الكيسين ...حملهما وعيناه لا تفارقان شلة الشبان ... وكلما ابتعد كلما شده منظرهم أكثر ...شيء ما بداخله يدفعه نحوهم ...لم يشعر رضوان إلا وهو واقف بينهم وقد كست وجوههم لمحة من الدهشة ...رحبوا به لكنه لم يبادلهم الترحيب ..أغمض عينيه واستسلم جسده لإيقاع أغنية سرت أنغامها في جسمه مسرى الخذر ...تحلق الشبان من حوله ووقفوا ينظرون إليه وهم يتبادلون نظرات الدهشة ... ظل إيقاع الأغنية يرتفع ويرتفع معه جسد رضوان وينتفض ثم يتمايل منسجما معها ،يضرب الأرض برجليه فتتناثر الأتربة من

حوله ،يزيده حماسا صراخ وتصفيقات الشبان ...كان العرق يتصبب من كل جسمه و يتناثر في كل الاتجاهات ...لم ينتبه إلى ما يحدث إلا حين خيم الصمت على المكان و الكل ينظر إليه وإلى رقصه بإعجاب ...وحتى يكسر هذا الصمت ويبدد الدهشة من على وجوههم خاطبهم مازحا :

"-مابكم ؟ تبدون مندهشين ...صحيح أنني أكبركم ، لكنني مازلت أحتفظ ببعض الشباب .... لا زال قلبي ينبض بالحياة "

...اغتنم رضوان هذه اللحظة ليحدثهم عن معنى الحياة.. قال يحَمِّل كلماته كل معاني الحياة و الفرح:

" -الحياة جميلة ،وكل ما فيها جميل، وعليكم أن تستمتعوا بكل هذا الجمال ...لاتسمحوا لأي شيء أن ينزع من داخلكم جمالكم ...ولتكن حياتكم أولى أولوياتكم ...لديكم حياة واحدة فعيشوها كما تحبون لا كما يحب الآخرون ...لا تفرطوا في سعادتكم "

وقبل أن يبتعد ،التفت إليهم وقال منبها إياهم.

" -ولا تنسوا أن تحلموا ،ففي الحلم حياة ،بل كل الحياة ،وحافظوا على ذلك الطفل الذي بداخلكم ،لا تهملوه أبدا ...احتفلوا به كلما أتيحت لكم فرصة لذلك ، ففيه يكمن سر سعادتكم..." ثم ودعهم وانسحب وهو يعد نفسه أن يعود الى الحياة ليعيشها كلها ،لاليعيش نصف..

فتح هاتفه ليقتل ماتبقى من الوقت ...لا زال موعد آذان المغرب بعيدا ...كاد الملل والوحدة يقتلانه ...لاشيء تغير مذ فارقته أمه ..لم تترك له غير الألم وبعض من ذكريات بدأت تنفلت من ذاكرته ... ليصبح ويمسي على الانتظار...انتظار يد تضمد جراح القلب المتعب بالخذلان ...

وهو يتصفح الأحداث ،استوقفه منظر سيدة يبدو على ملامحها بعض التعب ومسحة من الحزن ...تتردد في رفع رأسها أمام كامرات الهواتف المحمولة من شدة الخذلان ...رجت صورتها ذاكرته الخاملة... زادت لهفته ليتعرف أكثر على ظروف هذه السيدة وأسباب تواجدها بهذا المكان ..."إنها هي ...أيعقل أن تكون هي ؟ "أظهر اهتماما كبيرا بالموضوع ...اهتز شيء بداخله ...ارتعدت يداه من شدة الصدمة ...إنها زهرة ،حبه الأول ..."نعم إنها هي ...ماذا حدث لك يا زهرتي في غيابي؟ لم ينشرون صورتك وقصتك ؟ "

زهرة... كانت أجمل فتيات الحي ،من أسرة ميسورة ، لم تكمل تعليمها ،وتم زويجها لرجل يكبرها بثلاثين عاما، ليضمن الأب انتعاش تجارته، وتوسيع مشاريعه ...لم تكن زهرة الزوجة الوحيدة، لكن كانت أصغرهن ، مما جعل الزوجات

الأخريات بحكم كبر سنهن وخبرتهن وإحساسهن بمكانتها لديه ،يكنن لها العداء ويدبرن الدسائس للإيقاع بها فتسقط من عين الزوج ...عاشت سنواتها الأولى معاناة لا طاقة لها بتحملها ...وكلما كانت تهرب إلى بيت أبيها ،يرغمها على العودة إليه مذلولة صاغرة ...رزقت بخمسة أطفال بين ذكور وإناث ... توفي الزوج ولم تتجاوز الثلاثين من عمرها ...فرهنت حياتها وشبابها كله لأولادها ...ورغم عروض الزواج التي تلقتها، إلا أنها أقسمت ألا تفرط في أبنائها من أجل أحد ...هكذا عاشت زهرة أرملة تحارب الضرائر من أجل أن يعيش أولادها حياة هادئة مستقرة ...أفنت شبابها لتسهر على راحة الجميع ...ولم تشتك يوما ولم تتذمر ...كانت ترى سعادتها في ابتساماتهم ونجاحاتهم ،وظنت مع الأيام أنها أمنت تقلبات الدهر ، لكن تنكر الأبناء لها اليوم،كان أكبر خذلانها ...بعد أن هزمها المرض ووهن الجسد ،لم تعد قادرة على أن تحارب اكثر ...أصيبت زهرة بالسكري الذي أعقبه فشل كلوي و الذي تطلب مصاريف ورعاية واهتماما كبيرين... مل الأبناء من تحمل مسؤوليتها ، وكثر الشجار بينهم ،إذ لم يطق أحد منهم الاعتناء بها فأجمعوا جميعا على أخذها إلى أحد دور العجزة ...سمعت زهرة قرارهم وشعرت بالخذلان ...لم تواجههم بهذا القرار المؤلم، لكنها قررت أن تريحهم من عناء البحث عن الأسباب للتخلص منها ...حملت

حقيبة يد بعد أن عبأتها بما يلزمها من الأدوية و قليل مما وفرته من نقود ،وهاتف صغير ثم خرجت دامعة العينين منكسرة القلب ...تضيق نفسها كلما تذكرت شجارهم ... خرجت لا تعرف لها وجهة ...طافت على المحلات التجارية وشريط حياتها بكل مافيها من حزن وفرح لا يفارق ذاكرتها...تتطلع أحيانا على الهاتف علها تحظى بمكالمة من أحدهم للاطمئنان عليها ...وفي كل مرة يخيب أملها ،فلا أحد كلف نفسه للسؤال عنها ... ...تمر الصور سريعة أمام عينيها...أعياها التعب فارتمت على كرسي أمام باب أحد المتاجر تلتقط أنفاسها اللاهثة ... مطأطأة الرأس تتفادي نظرات المارة ...أحست برغبة في المشي والبكاء بعيدا عن أعين الناس فاتجهت نحو حديقة عمومية ،وقبل أن تصل، أحست بدوار فقدت بعده الوعي وسقطت مغشيا عليها ...أسرع إليها المارة والتفوا حولها يسألون من تكون ومكان سكناها ليعلموا أهلها بمكان تواجدها فيلتحقوا بها ...ظلت صامتة ترفض أن تدلي بكلمة ... انفض الجمع من حولها ...أوشكت الشمس أن تغادر وبدأت بعض المحلات تغلق أبوابها ...أثار وجودها هناك أحد الشبان فتقدم نحوها ليقدم مساعدته ...لكنها فضلت الصمت ولم تخبر أحدا عن معاناتها ...حمل هاتفه المحمول و سجل فيديو يعلن فيه عن سيدة خرجت من بيتها صباحا لكنها نسيت طريق العودة..ثم نشر

الفيديو على مواقع التواصل الاجتماعي ،يطلب ممن تعرف عليها من الأهل الاتصال به على رقمه الخاص...
"إنها زهرة ...إنها زهرة" ...حمل هاتفه واتصل بصاحب الإعلان يرجوه أن يتكلف بها وألا يتركها حتى يصل إليه...
وقف السي حسن أمام زهرة ...ارتعدت أطرافه ...لم تقو قدماه على حمله ...وقبل أن يسرقه الحنين إلى الماضي الجميل هتف باسمها ...زهرة !! رفعت رأسها وإذا بها تقف مذهولة ...لم تصدق عيناها ما رأت ...أنت ؟ حسن ؟ ...لم يقولا شيئا لكن نظراتهما المتبادلة طويلا،باحت بكل شيء ...خيل إليه أنه واقف أمام زهرته بنت الثماني عشر عاما ...كماخيل إليه أنه لم يفارقها ثلاثين عاما ..مازالت تحتفظ بجمالها ونظارة وجهها رغم السنين ...شعرها الأسود الكثيف المتطاير ..خصلات الشعر تحملها الرياح فتنثرها على وجهها فيشعر بالسعادة وهو يسحبها ليثبتها خلف أذنيها ...تتورد وجنتاها خجلا فتبتسم له ليشتاق إليها أكثر ... لا شيء تغير ...لازال حسن -حبيبها الذي تركته منذ سنين لتتزوج بغيره- كما رأته أول يوم وأحبته ...شعره الحريري اللامع المصفوف إلى الخلف، نحيفا أنيقا ولطيفا ...ابتسمت له ...مد يده إلى وجهها ليشعرها بالأمان ...لف ذراعه حول كتفيها ثم أخذها وانصرف ...ظلت زهرة في رعايته ينتظر اتصالا من أحد أبنائها ، لكن دون جدوى...

أخبرت زهرة حسن كيف قضت أكثر من ثلاثين سنة بعيدة عنه ، لكنها لم تنسه يوما ،كان وجوده بحياتها يمنحها القوة لتتحدى الألم بعد أن تركها زوجها وبين يديها بنتان توأمان وثلاثة أولاد ...أخبرته بكل شيء، وشعرت كأن حملا ثقيلا كان يجثم على صدرها وانزاح ...كم شعرت بالألم وهو يخبرها أنه لم ينسها يوما ولم يفكر لحظة أن تدخل حياته امرأة أخرى غيرها ..كان يعيش على أمل أن تعود إليه يوما فتشفى جراحه وتطيب نفسه...لم يفارقه هذا الأمل وظل ينتظر دون يأس أو ملل ...وعدها حسن بأن يعتني بها ويعوضها عن كل سنوات الوجع التي قضتها بعيدة عنه...لم يتردد لحظة في أن يطلب يدها كما لم تتردد في الموافقة...

نشر خبر زواجهما على مواقع التواصل الاجتماعي ...صعق الأبناء للخبر .. شعروا بالإهانة ...كيف تقدم أمهم على فعل شنيع كهذا ؟ كيف فكرت في إذلالهم بهذه الطريقة ؟ ماذا سيقول الناس عنهم ؟

حضروا إلى العنوان وهم يزبدون ويرعدون .. ويتوعدون...

لم يقصروا في الصراخ والعتاب ...كانت تستمع إليهم بانتباه شديد، ولا زال حسن ينتظر من بعيد ردود فعلهم ،فلن يسمح لأحد أن يهين زوجته ...ابتسمت في وجوههم ابتسامة أشعرتهم بحقارتهم ...كيف كانوا يتشاجرون كلما اجتمعوا فقط ليتباحثوا

كيف يتخلصون منها .. كيف عاشت حياتها لأجلهم، ولما كبروا تنكروا لها ولتضحياتها وهي في أمس الحاجة إليهم...

"لم عدتم اليوم ؟ هل أزعجكم أن تروني سعيدة بدونكم ؟ أكان يرضيكم أن تروني أموت كل يوم في دار العجزة؟ ...وكيف عرفتم مكاني ؟ رد أحدهم ليهينها "صرنا حديث كل لسان بعد الفضيحة التي نشرت عنك ..." فضيحة ؟ عن أي فضيحة تتحدث ؟ ااااه... تقصد الإعلان عن مكان وجودي يوم غادرت البيت ؟أم مانشر عن زواجي على سنة الله ورسوله ؟ أكان يرضيكم أن تضعوني في دار العجزة ولا يرضيكم أن اتزوج بعد هذا العمر ؟ ألهذا الحد استخسرتم في أياما من السعادة قبل أن أموت ؟ ...أريد أن أعرف ،لم أتيتم الآن ؟ ماذا تريدون ؟ ..تبادل الأبناء النظرات ...لماذا أتوا ؟ لا يعرفون ...كم كان سؤالها محرجا ... طأطوا رؤوسهم من فرط الإحراج ... نظرت إليهم نظرتها الأخيرة، ثم طلبت مغادرتهم بيتها لأنها ستسافر مع زوجها في رحلة للعمرة .."اهتموا بحياتكم ولا تهتموا لأمري ... لم يحن وقت دار العجزة بعد ، مازالت تنتظرني أيام جميلة وسأعيشها حتى آخر النفس.

فرحة العيد.

منذ أن بدأ الحديث عن اقتراب عيد الأضحى وهو يعيش الخوف والقلق من أن يكون مصير فرحة هذا العام مثل السنة الماضية.. كان السي حسن يتردد كثيرا على أماكن بيع الأضاحي حتى يطمئن إلى أن رصيده من النقود الذي استطاع توفيره طيلة عام ، يسعفه لشراء أضحية يبعد بها شبح الانكسار والحرج عنه وعن صغاره مرة أخرى ... لكنه في كل مرة يعود بخيبة أكبر ...عاش فترة عصيبة وهو يعود إلى بيته خائبا، يتمنى في قرارة نفسه أن يتم إلغاء العيد هذه السنة وبالتالي يرفع عنه الحرج ، و تكون حجته أمام صغاره حين يسألونه: متى يحضر لهم خروف العيد ...كان كل مرة يدخل إلى بيته ،تستقبله زينب زوجته بوجه على ملامحه ألف سؤال ،لكن السؤال الأبرز كان "هل هناك أمل في شراء أضحية هذا العام ؟"...وكانت نظرات الخيبة على وجهه كفيلة بأن تمنعها من طرح السؤال حتى لا تزيد من همه...

اليوم خرج السي حسن إلى أحد الأسواق التجارية الكبرى، بعد أن سمع أن ثمن الأكباش هناك أرخص مما يتداول في الأسواق الأسبوعية وأماكن بيع الأضاحي ...فقد تم استيرادها من اسبانيا ورومانيا ...اطمأن إلى جيبه وتأمل خيرا ...ما إن وصل إلى

ساحة السوق أين تعرض الأضاحي ، حتى سمع بعض المواطنين يتداولون موضوع هذه الأكباش ..فمنهم من قال إن لحمها لا طعم فيه ولا لذة .ومنهم من قال إنها محقونة بمواد مضرة وبعضهم ذهب إلى أن هذه الأكباش غير صالحة للأضحية ،لانهم لا يعلمون مصدر طعامها ، وبالتالي لا يليق أن يجازفوا و يفسدوا شعيرتهم...كثر اللغط حولها لكن ذلك لم يمنع حسن من التقدم نحوها لمعاينتها... وقف حائرا مترددا بعد أن اطمأن إلى الأثمنة يتساءل ..."هل يعقل أن يكون كلامهم سليما ؟ هذه الأكباش تذبح في بلدانهم ويتناولونها ولم يبدوا اشمئزازا منها ولا نفورا من طعمها ولم يطرحوا كل هذه المخاوف ، لابد أنهم يبالغون أو أن هناك هدفا من تمريرمثل هذه الأقاويل ...سأتوكل على الله وأشتري واحدا قبل أن يرتفع سعرها، فمن يدري ماذا سيحدث غدا... "

وهو يتفقد الأكباش ويبحث عن واحد يناسب قدرته ،سمع صوتا من خلفه يؤكد ما قيل ، ويدعو مرافقه إلى الانصراف وعدم المغامرة ... ارتاب حسن من جديد ،ثم تراجع مترددا إلى الخلف ...أوشك الليل أن يرخي سدوله على المدينة وحسن لازال ينتظر حقيقة مايقال ..فعاد إلى منزله خائبا مرة أخرى شارد الذهن ...

لم يبق أمام العيد إلا يومان ، فاضطر حسن أن يكون آخر يوم يعود فيه إلى بيته دون أضحية ...استيقظ باكرا واتجه إلى سوق إحدى القرى المجاورة، إذ سمع بأن أثمنة المواشي هناك في متناول الجميع ...وحين أقبل على السوق طالعته جموع الباعة والمشترين ، وأصوات تتعالى من كل صوب ...لازال "الشناقة" يسيطرون على الأسواق ...ولازال المواطنون يتذمرون ولا زالت ملامح العجز والخيبة تعلو كل الوجوه ...وأغلب القادمين إلى السوق يعودون منكسرين خائبين يلعنون ويسبون، حسبهم الله فيمن كان السبب وراء هذا الظلم وهذا القهر الذي يعانون منه ...توقف حسن مع أناس تحلقوا حول بعض الخراف يسأل عن الثمن ، فبادره الكساب إلى السؤال .: "شحال فجيبك ؟ هاد العام كلشي يعيد بإذن الله ، اللي عندو واللي ماعندوش ".....اطمأن حسن لكلامه و ابتسم ابتسامة كانت كافية لأن يفهم الكساب أن قدرته لا تكفي لشراء أضحية تجعله سعيدا ومطمئنا بقية العام ..فقد استنفذت هذه الشعيرة مدخرات سنة كاملة ، ومع ذلك لم يتمكن من شراء أضحية مناسبة ... استغل البائع انكساره وعرض على حسن أحد الخراف الهزيلة المعزولة في ركن من مكان البيع ..أحضره إليه وقد كان مناسبا للمبلغ الذي يحمله في جيبه ...لم يتردد حسن في قبوله ،لم يتفقده ولم يسأل شيئا عنه ،حمله على

دراجته النارية وعاد مسرعا إلى بيته كي يفرح صغاره ...استقبلته زينب وهي مقطبة الجبين عندما لمحت الخروف بين ذراعيه، لكنها لم تبد اعتراضا ..يكفي أن ذلك أدخل الفرح على صغارها ...تقدمت نحو حسن وخاطبته في همس "..أما كان أولى أن ندخر ذلك المبلغ بدل هذا الخروف الهزيل ؟ كيف سنتدبر الأيام القادمة مع هذا الغلاء المطرد وقلة فرص العمل ؟ كيف سنتدبر أمرنا إن طرأ جديد ؟ ماذا كان سيحدث إن نحن أعلنا عدم قدرتنا على تلبية هذه الشعيرة؟ ،لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وهذا رأي كل الفقهاء ؟ "...نظر إليها متوسلا أن تعفيه من الدخول في مناقشة هذه المواضيع ...فما يهم الآن هو أنه استطاع أن يؤدي هذه الشعيرة وقضاء هذه السنة ..."الحمد لله ، رفعت عني الحرح والانكسار أمام الجيران...هذا هو المهم والباقي، مدبرها حكيم... " وغادرها مطمئما مرتاحا يعلو الانتصار وجهه ...هكذا استطاع حسن أن يبتسم أخيرا ،فقد انزاح هم ثقيل من على صدره ...خرج مبتسما بعد أن امتلأت أذناه بثغاء الخروف الذي ملأ أرجاء البيت ، وبعد أن تملت عيناه بمنظر صغاره وهم محيطون بالخروف ويقفزون فرحا

استيقظ حسن وزوجته على فاجعة هذا الصباح ... كان منظر الخروف وهو نافق في زاوية من البيت مثل الصاعقة التي الجمت فميهما ...أسند حسن ظهره إلى الحائط خوف السقوط

من هول الصدمة ...لم تكتمل فرحته ...عاد الهم يسكنه من جديد وقد تضاعف ..." يا الله ! كل هذا كان من أجلك ..أملا في التقرب إليك، فلم حرمتني من هذا الأمل ؟

..ضاعت مدخرات سنة كاملة وضاع أمل التقرب اليك بهذه الشعيرة ...ما العمل الآن وقد خسرت الاثنين؟.

دخلت غرفة مكتبه أثناء غيابه ...أذهلها كم الصور التي يزين بها جدران الغرفة ...دفعها الفضول لتعرف أكثر عن هذه الصور ..وإذا بها كلها لفنانة مشهورة ... تسرب إليها الشك وراحت تبحث بين الكتب و داخل الأدراج... لاشيء غير صورها ...انتابها شعور غريب أقرب إلى الغيرة منه إلى الخوف ... لماذا احتفاظه بصور هذه الفنانة دون غيرها ؟ ماذا يحدث بينهما ؟ ...أعادت الصور إلى أماكنها وانسحبت من الغرفة تتقاذفها الشكوك.

انتظرت عودته لتسأله فيطمئن قلبها ...لم يثره سؤالها بل كانت فرصته ليبدي إعجابه بجمالها الفتان وجسمها الممشوق ...هام وهو يعدد مفاتنها ناسيا أن زوجته بقربه وأن ذلك يسيىء إليها وإلى مشاعرها ...انسحبت خائبة إلى غرفتها يعتصرها الألم ..كيف ستجعله راضيا على شكلها مفتونا بها؟ أسرعت نحو المرآة لتجري مقارنة بينها وبين معشوقة زوجها وفاتنته ..."لاشيء يبدو بشعا في شكلي ...آه ..فقط أحتاج إلى تقويم لأسناني وأغير قصة شعري" ... أغرتها الفكرة ...ترسخت في ذهنها وصارت هاجسها ...حملت صورة الفنانة ونظرت إليها وأطالت النظر ...أذهلها كم الفرق بينها وبين الصورة ...آلمها أن

تستحوذ الفنانة على فكره ومشاعره وإعجابه ،فقررت أن تنتزع منها زوجها حتى لو كلفها ذلك كل حياتها...

"مارأيك أن أقوم بتقويم لأسناني ؟ سألته في تودد ...التفت إليها مذهولا أمام سؤالها "ماذا ؟ إنها فكرة جميلة ، كنت سأخبرك بهذا ...ستبدين فاتنة" ...ثم ضمها إليه وراح يغدق عليها بالقبل فاستسلمت له وشعرت بالاطمئنان وبالانتصار على صاحبة الصورة في أولى جولاتها...

لم يمر زمن طويل حتى عادت سناء بوجه أكثر جمالا أذهلت كل من رآها ، فزادها ذلك ثقة بنفسها ..فرح رضوان بالتغيير الذي طال وجه زوجته ودفعه هذا إلى أن يهمس في أذنها ..."صرت أحلى وكل يوم يزداد إعجابي بك وبشكلك الجذاب ... "

انتظرت بعد هذا التغيير أن يتخلص من تلك الصور ،فقد صارت أجمل ،وقد اعترف لها بذلك ...عادت إلى الصور من جديد ...همت أن تمزقها لكنها خشيت أن تغضبه ...عادت تنظر إلى الصور لتبحث عما يثيره في جسم هذه الفنانة ...كل شيء فيها يفتن ويثير ..."أنت ستكونين سبب تعاستي" ... نظرت إلى المرآة ... كل شيء بدا لها يحتاج إلى تقويم وتغيير...

وفي كل مرة تفاجئه بشكلها الجديد، يزداد إلحاحا على المزيد من التغيير ..."أنت جميلة فقط لو استطعت أن تبرزي شفاهك أكثر" ..."انظري إلى هذه الفنانة مثلا ...مارأيك

في شفتيها ؟ إنهما جذابتان ! أليس كذلك؟" ... "ما أروع شكل أنفها!" "انظري إلى أردافها، إنهما ممتلئتان بشكل مثير" ..." إلى خصرها المنحوت ، ليتك تحصلين على خصر مثله! وحتما ستكونين أجمل منها وأكثر إثارة ... "

ظلت تلميحاته لها أسياخا تغرز في جسمها و نبالا سامة توجه إلى مشاعرها...استغل حبها له وخوفها من فقده فصار يوجهها كما يشتهي ويدفعها إلى توسل مشارط الأطباء لترضي نزواته وهوسه بفنانته ،حتى صار همها أن تلبي رغباته ...وكلما أبدى رغبة في تغيير شيء من جسمها ، سارعت إلى تنفيذها ...وصارت كلما نظرت إلى المرآة كرهت شكلها أكثر فأكثر ،حتى صار تغيير شكلها كل همها ...صارت مهووسة بشكل الفنانة وفي كل مرة تراها ،تزداد اقتناعا أن الوصول إلى جمالها ليس صعبا ...فتعيش على أمل أن تجعل زوجها مفتونا بجسدها وتحظى بابتسامة رضى تشعرها بانتصارها على فاتنته ...وفي كل مرة تتغير تنتظر أن يتخلص من صور تلك الفنانة ...لكنه لا يزال يحتفظ بها رغم كل التغييرات التي خضعت لها...

ظلت سناء تقضي معظم وقتها تبحث على مواقع التواصل الاجتماعي عن مراكز التجميل الأشهر في العالم ،حتى تحولت هذه المراكز سكنها الثاني ...استنفذت كل مدخراتها لتجعل من شكلها أجمل وأشهى ...فنسيت مع الأيام أن تنجب طفلا يملأ

حياتها ...أنساها هوسها بالتجميل أمومتها ،ومايزيد همها أنها نسيت المرأة الجميلة بداخلها ...تحولت إلى مسخ بشع تغطيه أطنان من مساحيق التجميل، مدمنة تلهث وراء اقتناء أغلى الماركات لمواد التجميل ...صارت تعيش وسط علب الأدوية والكريمات والكبسولات والمراهم والأمصال ...وكلما اقتربت من تحقيق حلمها بالاستحواذ على قلب رضوان وانتباهه وشغفه بها، كلما ابتعد رضوان عنها وتخلى عن إعجابه بذلك الجسد المتغير باستمرار...

فاجأها يوما عندما أخبرها برغبته في أن يصير أبا ...صاحت في وجهه فزعة ..."هل تريدني بعد كل ما وصلت إليه، أن أحمل وأنجب وأرضع ؟ هل جننت ؟ هذا سيكلفني التضحية بجسدي وأنا لا أستطيع أن أخسر جسدي لأجل طفل ...لا تفكر في ذلك أبدا "...وأمام رفضها المستمر لتوسلاته الكثيرة ، شعر بأن حلمه لن يتحقق بوجوده معها ... لم يعد يبدي إعجابه أو تذمره لما تحدثه في جسدها من تغييرات .....كما لم يعد يهمها رأيه فيها....مع الأيام صارت غير راضية عن شكلها و صار كل تغيير يعقبه تغيير آخر ...تتبع آخر صيحات التجميل ... لم تكفها الجراحات التجميلية والآلام التي تلحقها جراء ذلك ، بل صارت تستنجد بإعلانات مواقع التواصل الاجتماعي بحثا عن نتائج تزيد من إثارتها ولفت الانتباه إليها ... اشتد هوسها بجسدها

حتى أصبحت جسدا بلا روح .. لم تعد تسعى لإرضاء زوجها كما لم تعد ترى في جمال الفنانة ما يثير قلقها بل امتد هوسها لأن تصبح الأجمل والأكثر إثارة ... تعددت عمليات التجميل حتى صارت مسخا منفرا مثيرا للشفقة...

كثر غياب رضوان عن البيت ...كم كان قاسيا وهو يبدي نفوره منها ومن الشكل الذي سعى كثيرا أن يتحقق في جسدها ... ترك البيت ورحل... زادها رحيله عن البيت ألما، فصارت تلجأ إلى المهدئات لتخفي وجعها وخذلانه لها ، حتى أدمنتها ... تركها وراح يبحث عن أخرى تحقق حلمه في الأبوة ... فشلت كل عمليات التجميل في تحقيق الجسد المثالي الذي يرضيها...مازالت ترغب في المزيد ....

فقدت كل ما تملك بسبب عمليات الإصلاح والترميم والتعديل...طرقت كل الأبواب تطلب المساعدة وفي كل مرة تغلق في وجهها تلك الأبواب ،فتعود لتئن تحت وطأة الخيبة ..."كيف ستعيشين بهذا الازدراء من شكلك بقية حياتك يا سناء ؟ فشلت كل المشارط والمراهم والأدوية في استعادة الثقة إلى نفسها ... لم تعد سناء تقوى على النظر إلى المرآة ... لقد تخلصت من كل المرايا في البيت حتى لا تعكس بشاعتها فتزداد ألما وندما ...لم تستطع المهدئات والمنومات أن تنسيها وجعها وندمها ...

انتبهت إلى الكم الهائل من علب الأدوية والمواد التجميلية من حولها ...هالها منظرها وهي تبحث عن مهدىء بين أكوام العلب ...لم تجده ،فبدأت تصرخ وتصرخ وهي ترمي بها في كل اتجاه ،حتى وقعت يدها على قنينة لحبوب ...خفت لهاثها واستعادت شيئا من هدوئها ... نظرت إلى قنينة الدواء طويلا ...دمعت عيناها ...أغمضتهما ثم راحت تستعيد شريط حياتها... كيف كانت هادئة مطمئنة راضية سعيدة بمن حولها و كيف جعلها رضوان فارغة مظلمة من داخلها حين فقدت الثقة في نفسها واستسلمت لأهوائه ،مهووسة بجسدها... كيف تخلى عنها في عز احتياجها له بعد أن ضحت بكل شيء لأجله ...اليوم خسرت كل شيء ...انقلب بكاؤها ضحكا هستيريا ممزوجا بالدموع، يكشف أنين روحها المشروخة و صوت قلبها المكسور ... شعرت برغبة في الانتقام ...

أمعنت النظر إلى محتوى القنينة من جديد ...ارتجفت يداها وهي تفتح القنينة ...ماذا يدور في رأسك يا سناء .؟

اول ايام الخريف.

مع بداية ايام الخريف ،لاحظت زهرة تغيرات على ابيها ،لم يعد ذلك الصاخب المرعب الذي تفر عند سماع صوته كل الكائنات بالبيت ... ظلت تراقب تصرفاته داخل وخارج البيت ...ايقنت اليوم ان امرا غير مريح يحدث لأبيها ...لم تشأ ان تطلع امها او اخواتها حتى لاتثيرمخاوفهم . ..بدأت تتجاذبها الظنون "...اين ذلك الصراخ حين يرى مصابيح المنزل كلها مشتعلة ؟ اين وعيده عند رؤية فاتورة الماء والكهرباء المرتفعة ؟ لم يعد ابي ينتظر على عتبة الدار ، مرور ساعي البريد ليسألة عن رسالة ،لم يعد يصرخ في وجه اخوتي الصغار عندما يزعجونه وقت القيلولة ..."لقد تغير ابي ...اشتقت الى ابي وصراخ ابي ووعيد ابي... "

 في طريقها الى البيت لمحت ساعي البريد يتجه ناحية الدار فاسرعت تسأل ان كان يحمل رسالة لوالدها ...فرحت كثيرا حين سلمها الرسالة ،فقد كان والدها كثير الانتظار لقدوم ساعي البريد ... كان يرى في قدومه اخبار البعيدين من الاهل ...انتبهت الى ان ذلك سيفرح والدها "...قد تساعده رؤية ساعي البريد على الفرح والخروج من هذا الانطواء المفاجيء " ... اعادت لساعي البريد الرسالة ورجته ان يسلمها له بيده ...

قبل ان يطرق ساعي البريد باب الدار طرقاته المرعبة ، اعلن بعلو صوت عن وجود رسالة للمسمى الحاج الحسين الكاروني...كان والدها يهرع الى باب الدار لمجرد سماع صوت دراجة نارية، لكنه اليوم لم يهتم ...تسلمت الرسالة حائرة مما يحدث وتساءلت ... "ماذا يحدث مع ابي ؟...لابد انه يخفي امرا خطيرا ولا يريد ان نعرفه... لم اعهده قط شاردا صامتا قابعا طول اليوم في المنزل ...ابي الذي كان لا يدخل الى البيت الا للاكل او للنوم ، يصير هذا حاله ؟... "

في طريقها الى موقف الحافلات ، سمعت صوتا ينادي باسمها ،انتبهت الى مصدر الصوت ...كان صديق والدها استوقفها ليسأل عنه .."لقد مر زمن لم اره ...مابه ؟ منذ ذلك الحادث" قاطعته في خوف " . حادث؟ عن اي حادث تتكلم ؟ انا لا اعرف ماذا حدث لوالدي ؟ " .."الم يخبركم ؟ هو ليس على مايرام هذه الايام ، اصبح ينسى كثيرا ، و يشرد اكثر ،ومنذ ان التقيت به ذلك اليوم منطويا ومنعزلا في ركن من الشارع الخلفي ، لم اره ولم اسمع عنه شيئا .. لقد نبهته ان يرى طبيبا ليكشف عن حالته... "

انسحبت زهرة وقد زادها كلامه شكوكا ..."ان صدق الرجل فيما قاله، فأبي ليس بخير ..انه يخفي امرا او انه لا يدرك مايحدث

معه... "

انتظرت حتى يجتمع من بالبيت ثم اخبرتهم عن شكوكها ..." قد يكون ابي مصابا بالزهايمر" ...لم يرق ذلك اخواها واختها الكبرى ...التفتت الى امها وهي تقول ..." التقيت اليوم بعمي ابراهيم واخبرني ان ابي كان تائها عن المنزل ومن خوفه بقي منعزلا ومنطويا في مكان حتى اعاده الى المنزل " لم تكن شكوكها لتطمئن احدا ..قالت سناء "هيا لا تضخمي الامور ..قد يكون متعبا او منشغلا قليلا على تجارته ،فمنذ ازمة كورونا وهو على هذا الحال ولا يريد ان يشاركنا متاعبه ولا ان نقلق بشأنه ... ألا تعرفين ابي ؟ انه عنيد وله عزة نفس وكبرياء ولا يسمح لاحد ان يتدخل في اموره او يلمس ضعفه او حاجته للمساعدة... "

استفاق اليوم كعادته يصرخ في وجه امها يستعجلها باحضار الفطور ... تبادلوا النظرات فيما بينهم...انتبه اليهم وسألهم" مابكم ؟ لم تحملقون في جميعكم ؟" انفلتت زهرة من بينهم وتوجهت نحوه ...لفت ذراعيها حول عنقه وابدت سعادتها برؤيته كما عهدته....فنهرها كالعادة ثم سحب كرسيا وجلس يحتسي فنجان قهوة وهو يراقب نظراتهم اليه وملامح وجوههم ...قالت في نفسها مطمئنة..." نعم .هذا هو ابي.."

و هم يتحلقون حول الطاولة سمعوا طرقا متتاليا على الباب

،اسرعت زهرة لتفتح الباب واذا بها وجها لوجه مع فتاة في عقدها العشرين وبضع سنوات ، تحمل رضيعا و تسأل عن الحاج الحسين الكاروني..

حين تقرع الأجراس.

كان زواجه بعزيزة زواجا تقليديا ....لم يسبق له أن رآها أو عرف عنها شيئا ... فقد عرضت عليه -أمه ذات صيف- صورة إحدى قريباتها ،فطلب أن يتعرف عليها أولا ...إنها عزيزة ؛ فتاة جميلة في مقتبل العمر ، تغري أي رجل للارتباط بها ... أول لقائهما لم تثر موضوع المهر وتجاوزت تلك الطلبات الخيالية التي كانت ترهبه وتمنعه من التفكير في الزواج ،فشجعه ذلك على قبولها زوجة له ...سعد بها كثيرا ...عاشا سنواتهما الأولى يحاولان التقرب من بعضهما والالتقاء في بعض أفكارهما...

ادريس الذي جُبل على فكرة أن الرجال قوامون على النساء لم يجد صعوبة في أن يجرد عزيزة من حقها في اتخاذ القرارت التي تخص الأسرة ، كما أن عزيزة لم تكن تولي اهتماما لذلك ...فقد عودته أن لا تناقش قراراته وتركت له أحيانا حرية التصرف في أجرتها ، واكتفت بالاهتمام بالأبناء و بالأمور المنزلية.

لا تتذكر عزيزة أنها خرجت يوما في رحلة عائلية أيام العطل ، ولا تتذكر أن ادريس دعاها مرة للغذاء خارج المنزل ،إلا إذا دفعت هي تكاليف الرحلة أو فاتورة الغذاء ،وكان يحرص أن تدفع الحساب قبل أن يخطوا عتبة المنزل كشرط

ليحقق رغبتها...
كل مقتنيات البيت ولوازمه التي ترغب في اقتنائها كانت تسجل باسمه، وعزيزة من تدفع الثمن من تحت الطاولة ، ليؤكد ادريس قوامته ويحافظ على هيبته و مظهره الاجتماعي ويرضي أنفته المزيفة...لم يكن ذلك ليزعج عزيزة ،لكن كل شيء تغير فجأة ،وبدأت أجراس الخوف تقرع ، والصمت تتمدد مساحاته، والهوة بينهما تتسع, منذ فكرت عزيزة -ذات مرة -أن يغيروا روتينهم اليومي ويتناولوا الغذاء خارج البيت ... يومها ، رفض ادريس الفكرة أول الأمر ،لكن حين أبدت استعدادها لدفع ثمن فاتورة الغذاء، وافق ،وقفز من مكانه متحمسا ليستعد للخروج ...
وهم يغادرون طاولة الأكل، عرج ادريس نحو المغسل،بينما هي توجهت صحبة أبنائها نحو الصندوق لدفع الحساب ...لم تنتظر حضوره كما عودته ...رآها تخرج المبلغ المطلوب من حقيبتها وتقدمه للنادل ، فجن جنونه ، وهرع نحوها مسعورا ....سحبها من ذراعها وسط ذهول الزبناء والعاملين في المطعم ...لم يهتم بأثر سلوكه الأرعن على نفسية زوجته التي فاجأها تصرفه الغريب ...هرول إلى السيارة وهو يلوح بيديه ويغمغم ...ركب السيارة ثم التحقت به عزيزة والأبناء ...لم ينبس ببنت شفة ،و ظل مقطب الجبين طول الطريق...أثارها بتنهداته وتأففاته

المتكررة ، فسألته : "ما بك ؟" لم يمهلها وقتا حتى انفجر كالصاعقة في وجهها : "كيف سمحت لنفسك أن تتصرفي هكذا ؟ ألا تعرفين أنك بهذه الحركة الغبية أهنتني وجرحت كبريائي ؟" مندهشة أجابته : "متى أهنتك ؟ وكيف جرحت كبرياءك؟"..." ماذا سيقولون عني وهم يرونك تدفعين ثمن الغذاء بدلا عني ؟ماذا سيفكرون؟"... أذهلها كلامه ،وكيف يفكر ..فهي دائما ما كانت تدفع ثمن فواتير المشتريات وتكاليف السفر والرحلات والخرجات ،لكن تصرفا بسيطا استطاع أن يعري حقيقته أمامها ...سألته في تعجب : "وهل كان يفترض أن أدفع تحت الطاولة حتى لا تشعر بالإهانة ، وحتى لا يُجرَح كبرياؤك؟"..." ماذا تقصدين ؟"... نظرت إليه باستخفاف ولم تجبه ...تركته يزبد ويرعد و مالت نحو أبنائها تداعبهم وتلهيهم عنه حتى لا يصغر في أعينهم ، بسبب ما يرون و يسمعون.. . ومع الأيام ، ظلت كل نقاشاتهما تنتهي بصراخ وعنف ،يعقبهما صمت قاتل...

لم يتقبل ادريس أن تتغير عزيزة وتصبح ندا له وتشاركه القرارات...خشي أن تصبح ذات سلطة ،لها قراراتها و اختياراتها الخاصة ،وقد يضطر للرضوخ لهذه القرارات ... أن يصبح لها إيقاعها الخاص الذي ينبغي أن يتكيف معه ...شعر بأنها بدأت تستغني عنه ، عن خدماته ، عن حاجتها وامتنانها الدائم له ...

سيفقد هيبته أمامها وقوامته وبالتالي سيفقد سلطته عليها ..
وأصبحت عزيزة تنظر إلى إدريس على أنه يستغلها ... يريد أن يحرمها من حقها في اتخاذ القرار أو مناقشته...أن يبقيها دائما في الظل ...مجبرة على التكيف مع أفكاره ومزاجياته ...ممتنة قانعة راضية بما يقدمه لها،...أن تظل -هي وكل ما تملك -تحت رحمته ...شعرت بأن علاقته بها مجرد خدمة لمصالحه، فيدفعها كل هذا إلى النفور والرغبة في التخلص منه ومن أنانيته وسلطته ، لذا، سحبت منه بطاقتها البنكية كخطوة أولى ، لإعلان تمردها ورفضها لوصايته ،ماجعله يستشيط غضبا ... شعر بناقوس الخطر ينبهه إلى احتمال تغيير قد يعصف بهيبته وذكوريته ...عاش إدريس بعدها جحيم الخوف من هذا التغيير الذي لم يحسب حسابه ، فحول الخوف حياتهما إلى جحيم...حول البيت إلى بؤرة من التوتر والتوجس ...صار كل همه كيف يحافظ على أنفته الزائفة و قوامته ...ولكن دون أن يفرط في عزيزة ، فكلاهما ضروريان في حياته...
لم يُجْدِ نفعا الهروب من مواجهة الحقيقة ... فقد فشلت عزيزة في كل محاولاتها لاستعادة الهدوء والاستقرار إلى البيت ، وكسر حاجز الرتابة التي بدأت تدب في أوصال علاقتهما
...نظرت إلى المرآة لترى وجها بشعا يحمل ندوبا ليست من

توقيعها ...حدثتها قائلة :"كيف عشتِ كل هذه السنوات عاجزة مشلولة ،تحت ظل رجل أناني مزيف ؟ انظري كيف استغلك وألغى وجودك واعتبرك لاشيء من دونه ...جعلته يعيش وهم القوامة التي اتخذها سوطا ليضرب به عنفوانك وأنت ممتنة راضية و قانعة لما يقدمه لك ،في حين لم يقدم لك شيئا ..كل البيت قائم على كدك وجهدك ومالك ،فما الذي يجبرك على البقاء تحت سلطة رجل مثله ؟... "

..همست لكبريائها المجروح قائلة :"..اااه يا عزيزة ! من سيوقف هذا الهدير في رأسك الآن ؟ .."

لم تعد عزيزة قادرة على ممارسة حياتها اليومية في سلام وهدوء ... طال صبرها ، واليوم انقطع رجاؤها في مزيد من الصبر... "ماعاد يجدي التجاهل ولا أنصاف الحلول.. لابد من مواجهته بحقيقتة وحقيقة علاقتنا ، نعم ؛ وحدها المواجهة سوف تريحني و تشفيني..."

البحث عن حياة.

كانت كعادتها كل صباح عندما تستيقظ من النوم ، تظل مدة على السرير ...تعيد التفكير بكل ما يحيط بها ...وأحيانا تسحبها الذاكرة إلى البداية ،بداية الحكاية ...حكايتها مع الندم الذي لا يريد أن يغادرها ،لكنها ظلت تكتمه داخلها حتى بات من المستحيل الاستمرار في الكذب على نفسها قبل الآخرين.

تسللت من سريرها واتجهت إلى الطابق السفلي ...جالت ببصرها نحو كل ركن من أركانة ...ثريات فاخرة متدلية ...قطع أثرية منتقاة بعناية وضعت في الواجهة ...فضاءات مزينة بأحدث التصاميم تغري الناظر ...كل ركن يحكي قصة من الإبداع والجمال والرقي ...وقفت بباب الحديقة الخلفية تنتقل بنظرها بين ممراتها المزينة بشتائل الورود المختلفة ...بعض الشجيرات مختلفة الفواكه منتشرة هنا وهناك ، نجح البستاني في جعلها إحدى تحف الحديقة ...تنهدت بعمق وعادت إلى الداخل وكأن لا شيء من كل هذا يمكنه أن يشيع الفرحة داخلها ويبدد هما يتراكم يوما بعد يوم ...نادت مدبرة المنزل لتحضر لها الفطور ...المائدة تغري بالتهام كل شيء ،لكنها فضلت احتساء فنجان شاي ...بقيت مدة أمام الطاولة تجيل النظر إلى هذا الأكل الشهي دون أن يغريها لتذوقه ...شعرت بالملل ..عادت إلى غرفتها تبحث

عن شيء جديد غير الذي عاشته طوال هذه السنين ...لكن ، لا جديد ...بحثت عن علبتها المفضلة ..فتحتها وأخرجت كالعادة ماتحتويه من تصاميم ...بعثرتها على سريرها ومكثت تنظر إليها بحسرة وندم ..ترى لوكنت اعتنيت بموهبتي وسعيت إلى إخراجها للوجود ..هل كنت غير التي انا عليه اليوم ؟ ماذا لو كنت سمعت كلام السي محمد ورفضت ذلك الإغراء من عشرين عاما؟ ... ابتسمت ساخرة وجمعت أوراقها وأعادتها إلى مكانها .. ماعاد ينفع الندم الآن ...فجأة همست لنفسها بسؤال ...لم لا أحاول من جديد ؟ ماذا يمنعني ؟ ...لازلت أحتفظ بقدرتي على الإبداع ...أخذت الهاتف واتصلت "...الووو ...هلي أن أراك بعد ساعة؟... "

قفزت من مكانها واتجهت نحو الخزانة ...تختار أجمل مالديها من ثياب ...تجملت قليلا ...دقات قلبها تتزايد كلما اقترب موعد اللقاء ..."ترى هل أفعل الصواب ؟"...توقفت قليلا ...سمحت لشريط قصير أن يمر أمام عينيها زادها إصرارا على مواصلة ما استقر إليه تفكيرها أخيرا ...خرجت وهي تبتسم تعانق الأمل في التغيير ...لا شيء يثنيها عن هدفها اليوم ...رن الهاتف ..إنه زوجها كالعادة يطمئن على وجودها بالبيت ...لم ترد ...واصلت طريقها إلى هدفها تاركة كل شيء وراءها...

"مرحبا لالة حياة...تفضلي" ،وأشار إليها بالجلوس .."شكرا سي محمد ...وشكرا لأنك لبيت طلبي ...هذا ما عهدته منك دائما ...أنت تعرف طبعا لم قصدتك" ...ابتسم لها ابتسامة أشعرتها بأنه يشجعها كما العادة ..وبادرته قائلة ..."هل ستساعدني؟ ...أريد البدء من جديد ...أريد أن أعيد ترتيب حياتي بعيدا عن أي وصاية من أحد ...أريد أن أجد نفسي التي أضعتها دون جدوى ...لا أخفي عليك كم شعرت بالندم لأنني تنازلت ،ودفعت ثمن هذا مرات عديدة" ..."لالة حياة ، أنت سيدة موهوبة ومتى شئت أن تبدئي أنا رهن إشارتك" ...شعرت بارتياح لكلامه وزادها هذا إصرارا على المضي قدما فسألته ..."هل بإمكانك أن تتدبر لي مكانا أبدأ فيه مشروعي ؟ لدي بعض التصاميم أريد إنجازها وأحتاج دعما منك ...طول فترة غيابي عن عملي وموهبتي وأنا أضع تصاميم جديدة وأحتفظ بها ...وآن الأوان لتظهر وتخرج إلى الوجود ، فلربما أخرج أنا إلى الوجود أيضا" ..وأتبعت كلماتها بابتسامة كلها أمل ".فماذا تقول ؟ ..هل تراني سأنجح بعد هذا الغياب وأن تضحيتي لن تفقدني أكثر مما فقدت؟... "

نظر إليها مطولا ..كم كان يتمنى لو سمعت كلامه ذلك اليوم ، ماكان ليحدث كل هذا ...لكن لم لا .. لا بأس من المحاولة..

على وقع هذه العبارة ، كنا نستقبل صباحنا ،وعلى أنغام موسيقى ترافقها، كنا نبدأ يومنا بكثير من الفرح و الأمل ...أحيانا كثيرة كنا نعتقد أن شمسنا لن تشرق إلا على صوت المذياع وهو يعلن هذه العبارة ، حتى يأذن لها بالشروق...

كانت أمي أول من يصحو بالدار ... تتسلل إلى المطبخ ولا نشعر بها إلا حين تتسلل إلى أنوفنا رائحة البن المحمص ، والخبز المغمس في البيض والمقلي في الزيت ..هاهي تحمل إلى والدي فنجان قهوته "المقطرة " التي اعتاد أن يفتتح بها يومه ، وهو على فراشه يستمع إلى نشرة الأخبار وإلى برنامجه المفضل "القرض الفلاحي" ...ثم تعرج على غرفة نومنا ، لتعلن كالعادة أن اليوم بدأ من زمان وأن الحركة بالجوار على أشدها ولم يبق أحد داخل فراشه إلا نحن ...كم كان يحلو النوم في تلك اللحظة ، لكن مع إصرار والدتي وتفاديا لغضبها ،كنا نقفز من أماكننا قبل أن تعود إلينا ثانية ، فنتظاهر -خوفا -أننا نعيد ترتيب الغرفة... ثم نتسابق بعدها إلى أيدي أمي لتقبيلها حتى نحظى برضاها ، ونقتحم غرفة نوم أبي لتقبيل يده حتى نحظى أيضا برضاه ...كانت هذه الطقوس وغيرها مما كنا نحرص على احترامه وتطبيقه، من المسلمات بالنسبة لنا .. لا يمكن لأحد منا أن

يتجاهلها مهما علا شأنه ... وأي إخلال من أحدنا بطقس منها ، كان يعتبر انتقاصا من محبته لوالديه أو يعتبر نوعا من الانحراف أو الزيغ عن المألوف وعن العادات والأخلاق...لا يمكن التهاون في مثل هذه الطقوس كما في بعض القيم ...وليت الأمر اقتصر على كونه طقسا ، بل كان يتعداه أحيانا إلى فرضه داخل البيت وفي الشارع والمدرسة ...طقوس نشترك فيها جميعا ، ونسلم بها على أنها من الأخلاق الحميدة وحسن التربية ، ومن أخل بها يعتبر شاذا منبوذا...

كبرنا وكبرت أحلامنا وطموحاتنا، وتغيرت أفكارنا، كماكبرت مدننا واتسعت وامتدت ،ولبست ثوب الحداثة و التحضر والتطور ، في عالم تسيطر عليه السرعة... تنتقل الأفكار والمعلومات بيننا بلا توقف ،لكن عقلنا لا زال في جزء منه متشبثا ببعض هذه الطقوس والمسلمات ويكبر معه خوفنا أن نغفل عن شيء منها أو نتهاون في تطبيقها ...لم نقطع الصلة بينها وبين هذا الواقع الجديد الذي يتغير يوما بعد يوم ،كما لم نكن نملك الجرأة للخروج من دفء القطيع الذي حشرنا فيها حشرا ،فظللنا على شاطىء الحيرة نخاف" السباحة في نهر الأسئلة و ركوب قارب التغيير "...كان البعض منا يغبط هذا الوهم الذي نعيشه و الثقافة التي تبرمجنا بها منذ طفولتنا ،

مستعدا للدفاع عنها حتى الموت ،يحمل عقلا عقيما لا ينتج أفكارا غير التي زرعوها فيه ..في حين كان البعض الآخر مستعدا للصدمة، للتغيير ،للتأسيس لثقافة جديدة ولفكر جديد ، لكن دائما ما كان يواجه بعنف ونبذ وتهميش...

وداد كانت إحدى الصديقات اللواتي استطعن أن يخترن طريقا صادما لنا و لما علق بمخيالنا الجمعي... مختلفا عما سطره الأهل ...استطاعت أن تخرج عن الإطار، وترسم لنفسها مسارا متفردا مبنيا على قناعاتها واختياراتها ...فكثيرا ما كانت تشعر بالتكرار والرتابة وهي ترى نفس العقليات تعيد إنتاج نفس الأفكار والقناعات ونفس الأحلام، وتسير على نفس الخطوات المرسومة سلفا ...كانت تحلم أن تخوض تجربة متفردة تكسر فيها تلك الصورة النمطية للمرأة.. كانت مغامرة بالنسبة لها ، لكنها مغامرة لابد منه... ورغم ما لاقته من اعتراض وعراقيل من الجميع ، إلا أنها عزمت أن تكمل طريقها الذي رسمته بكل تحد وجرأة....

أنهت وداد تعليمها الثانوي بمعدل لم يسمح لها بولوج مدرسة الهندسة الميكانيكية ، لكن فشلها هذا لم يثنها عن رغبتها ، بل زادها إصرارها على أن توقف دراستها وتلتحق بإحدى مراكز التكوين المهني ، لتحقق شغفها في دخول عالم الميكانيك ، فتصبح "ميكانيكية محترفة."

منذ صغرها وهي تقف إلى جانب أبيها في ورشة الميكانيك ... عشقت كل قطعة حديد ، وعشقت أكثر طريقة تجميعها وتركيبها حتى خرجت في النهاية بهذا الإبداع وهذه التحفة ...ولم يبق أمامها إلا أن تجمع بين التعليم والتدريب العملي وتطوير مهاراتها الفنية ...

ظلت وداد تحمل في ذاكرتها كل هذه التفاصيل ..يكبر حلمها ويفرض نفسه عليها .. تحلم أن تصبح يوما سيدة هذا المجال بامتياز ... فبذلت كل الجهود لتحقيق هذا الحلم ، إلا أن قناعات الأهل وتصوراتهم كانت دائما تقف ضد فكرة خوضها هذه التجربة...

"-إنك تغامرين بمستقبلك ...دخولك هذا الميدان مجرد هدر لطاقاتك وضياع لفرص النجاح ، وقد يكون سببا في حرمانك من الاستقرار وتكوين أسرة " .قالت أمها يوما محاولة زعزعة ثقتها بنفسها...

"-كيف ستواجين الناس على اختلافهم وعقلياتهم وأمزجتهم؟ هذا مجال خاص بالرجال ،فكيف ستنافسينهم في مجالهم؟ .ثم أي رجل هذا الذي سيقبل بامرأة تقف اليوم كله بين الرجال وبين الشحوم والبراغي والزيوت؟ أي رجل يقبل أن يرى زوجته في زي كله سواد وأوساخ؟ ماذا عن أنوثتك ؟ كيف ستحافظين

عليها وأنت منبطحة تحت السيارات وتحت أنظار الزبائن؟ أي زوج سيقبل هذا منك ؟ أم أنك لا تفكرين في الزواج أيضا؟ ...هذا العمل ميداني ،طبيعة العمل فيه تكون في المرائب والكَراجات ...الرجال أنفسهم يشتكون رغم قوة تحملهم وصبرهم.. "

"-و من قال إن هذه المهنة وقف على الرجال ؟ من قال إن المرأة لا يناسبها العمل في المرائب والكَراجات ؟ من قال إن الميكانيكية تفتقد للأنوثة ؟ حكمتم علي انطلاقا مما زرع في عقولكم وأوهموكم أنه الصواب ."

كانت وداد تستمع باهتمام إلى ما يقولون و لا تجرؤ أن تنتقد كيف يفكرون ،لكن كل ذلك لم يثنها عن حلمها طالما تؤمن بقدراتها وتثق في إمكانياتها ...تؤمن أن لا حلم ممنوع ومن حقها أن تنتزع فرصتها في الحياة كما تريد وتصنع نفسها

بنفسها معتمدة على اختياراتها وقناعاتها و ومؤهلاتها... كل محاولة منها لإقناعهم كانت تجد رفضا قاطعا من طرف الجميع ...استخدموا كل وسائل الضغط لثنيها عن المضي في تحقيق حلمها ... لم يتركوا أمامها من خيار سوى الخضوع لهم و القبول باختياراتهم ،وبالتالي لم يبق أمامها إلا أن تدفن حلمها للأبد...

لاشيء يدعو إلى الفرح بالنسبة لوداد ... أحست بأنها ستمضي عكس سعادتها، فالحلم الذي ظننت أنه اقترب منها ، صار بعيدا جدا ،وأن سنينا من الانتظار ستتنازل عنها فقط لإرضاء عقليات مبرمجة ثابتة تخشى التغيير والتجربة والمغامرة.

اقترب وقت الحسم ..جمعت كل ما تحتاج إليه للانتساب إلى الجامعة ... كان آخر يوم لتقديم الملف والتسجيل بإحدى الشعب قضت اليوم كله خارج البيت بين الكليات تائهة حائرة، تحمل في قلبها وعقلها سنين حلمها الجميل ومشاريعها المستقبلية ،و بين يديها رغبة والديها في وظيفة آمنة مستقرة ، تضمن مستقبلها وتمنحها الكرامة والأمان ...تذكرت أباها وهو يخبرها ذات حوار:

" مهنة الميكانيكي مهنة صعبة للغاية ،في ظل غياب قانون العمل ، إنه يعد قطاعا واسعا ،ويشغل أعدادا كبيرة من العمالة لكنها غير منظمة ،وتفتقر إلى الحماية الاجتماعية ..فهل لك القدرة على تحمل كل هذه الصعاب يا ابنتي ؟هل تملكين طاقة كافية لتنافسي الرجال أصحاب هذا المجال ؟... تساءلت في كدر : وماذا بعد الشهادة الجامعية ؟ هل كل طموحي أن أحظى بوظيفة في إحدى المؤسسات؟ كيف ساقضي العمر وأنا على مكتب أتلقى الأوامر، وأتحمل وقاحة هذا وغلظة ذاك؟ كيف سأمحو سنين عمري التي انتظرت أن أعيش فيها تجربتي

وأحقق حلمي ؟ هل أنا بذلك الضعف الذي يتصورون ؟ و هل سأكون سعيدة باختيارهم؟...

عادت مساء إلى البيت وقد حسمت الأمر...استقبلها الجميع بابتسامة الرضا والارتياح ...اضطربت وهي ترى الفرحة والارتياح يعلوان وجوههم ... استجمعت قوتها وهي تنظر إلى والديها ، ثم قالت بصوت مضطرب تتخلله حشرجة ": آسفة أبي ،آسفة أمي ،قد أكون خيبت أملكما في ،ولكنني بالتأكيد فعلت ما يريحني ويسعدني ...حسمت أمر رغبتي و مستقبلي... ورغبتي أن أصبح "ميكانيكية محترفة"

العائدون إلى الموت.

مع أول خيوط الفجر، وقبل أن يرفع الليل كل أستاره عن الكون ،يفسح المجال أمام أشعة الشمس لتتسلل إلى كل زاوية من زوايا الغرفة ،نهض كريم من نومه ، يتفقد هاتفه ليطمئن أن موعد خروجه إلى العمل لازال بعيدا...إنها السادسة صباحا...أغراه دفء الفراش وخانه جفناه اللذان ظل النوم يداعبهما حتى استسلما له من جديد.. انزلق تحت الأغطية يتلمس الدفء من جسد حبيبته... ضمها إليه ثم راح يغط في نوم عميق ...فجأة قفز من سريره فزعا و راح يترنح على طول الطريق المؤدية إلى المطبخ ...لا زالت عيناه مثقلتين بالنعاس ..فتح باب الثلاجة يبحث عن علبة الحليب فلم يجدها..

"-آآآه ...لقد نسيت أن أحضر الحليب البارحة ..لابأس سأكتفي بفنجان قهوة"

ثم دلف إلى الحمام ...نظر إلى المرآة وفجأة تراجع إلى الوراء فزعا ...لم ير صورة وجهه معكوسة على سطح المرآة ...نظر من حوله ،كل الأشياء في مكانها وصورها على المرآة ..أعاد النظر ...لكن لا وجود لصورته ...خرج مسرعا يبحث عن هاتفه ..حمله بين يديه يريد أن يأخذ صورة ...لكن لا وجود لصورته على الهاتف أيضا ...فكر أن يتأكد مما يحدث ،فبدأ يصور محتويات

المنزل ...إنها تظهر على شاشة الهاتف ..أصابه هلع شديد ...أخذ يتفقد وجهه ورأسه وكل جسمه وأطرافة...

"-أنا هنا ...أنا بخير... "

قرر أن يسأل سلمى زوجته فأسرع إلى غرفة نومه ...أخذ يناديها لكنها لم تجبه ...وكلما علا صوته ،كلما ازداد البيت صمتا رهيبا ...لا أحد يجيبه إلا صدى صوته يتردد كأنه قادم من أعماق البحر ...تفقد نبضات قلبها ...لم يشعر بخفقانه ...أخذ يتفحص كل جسدها ..إنها لا تتحرك ...صرخ عاليا باسمها لكنها لا ترد ... ماتت؟ ...

"-يا إلهي ! ماذا حدث لها ؟ أيكون

بسبب انزعاجها مني لأنها انتظرتني طويلا وأنا أهملتها دون قصد ؟ ...هرع نحو جاره فوزي ليطلب مساعدته ...يطرق الباب وهو يصرخ ..لا أحد يجيبه ...نزل إلى أسفل العمارة يطلب المساعدة من الجيران أو المارة ...الشارع فارغ ..نظر يمينا وشمالا ثم سأل في رعب

"-أين سكان الحي ؟ أيعقل أن يكونوا جميعهم نياما حتى هذا الوقت ؟ ليست عادتهم...ماذا يحدث هنا ؟" تقدم نحو متجر على ناصية الشارع ...تنفس الصعداء

"-إنه مفتوح...الحمد لله ...كدت أجن" ...دخل مسرعا يسأل

صاحب المتجر لكن لا أحد يرد...
"-أين هو ؟ كيف يترك متجره مفتوحا وينصرف؟" ناداه مرات لكن لا مجيب ...بدأ الخوف يدب في أوصاله...
"-لا أثر لكائن حي بهذا الحي ...أين ذهبوا جميعهم؟ حتى القطط والكلاب التي كانت تملأ الأزقة لا أثر لها ...أين اختفت ؟ لماذا لا يريد أحد مساعدتي؟"
عاد مسرعا إلى بيته ليتفقد زوجته من جديد ..اضطرب مما رآى وزاد خوفه ...تراجع إلى الوراء ...لم يجدها على السرير ...ناداها بصوت عال وهو يبحث في كل الغرف وفي المطبخ والحمام. -
"ليست هنا...أين اختفت؟"
حمل هاتفه ليكلم أخاه ...ركب رقمه وانتظر أن يجيب... لا صوت على الهاتف ..تأكد من الرقم المركب .. لا رقم يظهر على الشاشة ..أعاد المحاولة مرات لكن دون جدوى ...حاول الاتصال بأخته .. لا أحد يجيب ..بدأت الشكوك تثيره والخوف يكبر بداخله. ..عاد إلى المرايا ليتفقد وجهه من جديد، لكنه لم ير شيئا ولا تزال كل الأشياء معكوسة على المرآة إلا صورة وجهه ...خرج من البيت يبحث عن تفسير لما يحدث له، فإذا به يلتقي بالعم سليمان يخرج من مسجد الحي عائدا إلى بيته ... هرع إليه ليسأله عن سكان الحي ،وقبل أن يصل إليه ، اختفى أثره

...تجمد في مكانه...

"-فليخبرني أحدكم أين ذهب الجميع ؟ لم أنا وحدي في هذا الحي؟ أين أنتم؟ أين أنت يا فوزي ؟..أين أنت يا سلمى؟ أين اختفيت يا عمي سليمان ؟".

عاد إلى سيارته ...حاول فتح الباب لكن دون جدوى..

"-تبا ...لقد أخطأت في المفاتيح ...هذه مفاتيح سيارة سلمى "

عاد إلى شقته وهو يأمل أن يصادف أحدا من سكان العمارة ليسأله عما يحدث ...دخل الشقة .. بحث عن مفاتيح سيارته .لكنه لم يجدها بحث في كل مكان لكن دون جدوى ...نظر إلى المفاتيح في يده من جديد ليتأكد منها..

"-هذه ليست مفاتيح سيارة ..يا إلهي ،ماذا أصابني ؟ أين وضعت مفاتيح سيارتي؟ سأتأخر عن عملي ...اليوم أول يوم لي في العمل .... ليس هذا الوقت مناسبا لمثل هذا العبث... "

بحث عن سيارته التي تركها أمام باب العمارة فلم يجد لها أثرا ..نظر في كل الاتجاهات ،لا وجود لها ...انطلق يعدو وهو يصرخ طالبا المساعدة ...لا أحد يجيبه ...وكلما تقدم خطوات إلى الأمام ،تبعد المسافات وكأنما خطواته إلى الوراء ...تتشعب الطرقات فيتوه بينها ...توقف قليلا ...في هلع كبير، نظر من حوله وفي كل الاتجاهات ...لا أحد غيره لا أحد يشاركه الطريق

...لا أحد يسمع صراخه واستغاثته... ظل يصرخ ويصرخ حتى خارت قواه ولا من مغيث...

فتح عينيه على وجه أشخاص غريبين ، سمر البشرة يرتدون ثيابا غريبة ويضعون حليا كثيرة ،شعورهم تتطاير مع الرياح المحملة بالرمال...إنهم غجر تلك المنطقة ...نظر من حوله يتفقد من كانوا معه، فإذا به وحيدا ملقى على رمال الشاطيء ...تذكر صديقه فوزي و عمه سليمان وابنته سلمى...كيف خططوا للهجرة في قارب بمساعدة أحد تجار الموت...تذكر معاناته الطويلة وهو ينتظر الفرج ليحقق حلمه بوظيفة تضمن له الاستقرار تحت سقف بيت هو وحبيبته سلمى ...تذكر مرارة الانتظار والخيبة وهو يرى أحلامه تنهار تباعا... يعود خائبا كل ليلة بعد أن يقضي اليوم كله يطرق الأبواب بحثا عن عمل ...كيف كان يشعر بالإحراج وهو يرى والده العجوز المتقاعد يتقاسم معه مصروفه اليومي وأحيانا يتنازل له عن نصيبه ،حتى صاركل أمله ،الخلاص من هذا الموت البطيء...أيقن كريم حينها أنه الناجي الوحيد من كل الذين كانوا معه في القارب ...كل من كانوا بالقارب ماتوا غرقا بعد صراع طويل مع أمواج البحر العاتية في تلك الليلة المشؤومة...ملأه شعور بالإحباط والفشل في تحقيق جزء من أحلامه، فسخر من قدره الذي نجاه

من الموت في أعماق البحر ليعيده إلى الموت على سطح الأرض ...دمعت عيناه وهو يتمتم بكلام غير مفهوم...

اقترب منه أحدهم ، يسأله بلغة لم يفهمها ...ابتعد مرعوبا وهو يصرخ في نوبة غضب هستيرية: "فوزي... عمي سليمان...سلمى... " أدخلته في غيبوبة أخرى....

طوابير من الخوف..

كان الصيف حارقا تزامن معه شهر رمضان، قصد السي خالد البنك باكرا ، وفي نيته أن يقضي مأربه، ويعود قبل أن يشتد الحر والزحام ... هو الذي خبر ظروف العمل في الإدارات بمدينته ...فوجيء بعدد كبير من الزبائن أمام بوابة البنك ... أخذ مكانه بينهم ...تفحص وجوههم ..بدت له كئيبة مجعدة، كأن الفرحة غادرتها منذ زمن ...أجسادهم تهاوت من شدة التعب والهموم والإحباطات المتتالية... خيل إليه كأنه في مدينة الموتى ...انغمس في مشاكلهم وهمومهم وأحلامهم وطموحاتهم ...

فُتِح الباب وأخذ الزبناء مكانهم في طابور طويل ...كل شبابيك الخدمة مغلقة إلا واحدا يقوم بخدمة الزبائن بينما اجتمع الموظفون في غرفة مكيفة يتجاذبون أطراف الحديث ، غير مهتمين بزبائن البنك ولا بطلباتهم...

دخلت فتاة لفتت انتباه الكل وهي تتهادي في مشيتها ... نزعت نظارتها السوداء الكبيرة ...تقدمت نحو شباك العامل وهي تعبث بشعرها الأشقر الناعم المنسدل على كتفيها ...وفي إشارة إلى الجميع قالت...

"-السلام سي عمر ...أرجو أن تسرع في إنهاء معاملاتي ،لدينا

اجتماع مع السيد الوالي بعد ساعة ولا أريد أن أتأخر.."."
هب السي عمر من مكانه مسرعا ...سحب كرسيا و فسح لها الطريق مهللا ومرحبا
"-مرحبا بلالة سهام ،نهار كبير هذا ، على الراس والعين ألالة ،نحن في الخدمة ،تفضلي بالجلوس" ... تبادل الزبناء نظرات الاستغراب ...لم يجرؤ أحد أن يرفض تجاوزا كهذا أمام أنظارهم...طأطاوا رؤوسهم وصمتوا خوفا ... إلا أن "خالد" انسحب من الطابور وتوجه نحو الشباك يستنكر هذا التجاوز...
"-عفوا سيدتي ..أظن أنه من الذوق أن تحترمي كل هؤلاء ،وتنتظري دورك هناك في الطابور كما الجميع ... كلنا لدينا مشاغل... نريد قضاء مآربنا ونلتحق بأعمالنا ،لا أحد هنا جاء للفرجة أو للنزهة ، فأرجوك تفضلي دون إثارة المشاكل..."
استفزها كلامه وثارت في وجهه غاضبة تتهمه بالتطاول على سيدة محترمة ...
اشتد التلاسن فيما بينهما ...عمت الفوضى داخل الوكالة ... اضطر مدير الوكالة أن يستضيفهما إلى مكتبه ...أغلق الموظف الشباك الوحيد لتتعطل طلبات الزبائن ويضطرون للانتظار وقتا إضافيا ...في محاولة لإصلاح الأمر بين الزبونين ، وبحركة من عينه ،طلب المدير من الموظف الذي كان لا يزال ينتظر الأوامر

،أن يسرّع بطلب الأستاذ خالد ، إذ قال وهو يبتسم في وجهه ابتسامة خبث مكشوفة:

" -نحن نقدر ظروف زبائننا ونسعى لخدمتهم ... نعمل ما في وسعنا لأن يكون كل زبائننا راضين" . فهم خالد أن المدير يريد أن يشتري سكوته بحركة دنيئة ،لكن قبوله خدمة كهذه ستقلل من قيمته في نظر هؤلاء الذين ينتظرون بالطابور منذ الصباح، والذين تكلم باسمهم جميعا ، فرفض عرض المدير وفضل العودة إلى مكانه بآخر الطابور مع كامل الإحترام ورد للإعتبار...لكنه لن يتنازل عن حق المواطنين الذين ينتظرون منذ الصباح الباكر لتقضى حوائجهم ..."ألا يكفي أن شباكا واحدا هو الذي يسهر على خدمة الزبناء في حين أن باقي الموظفين في الغرف المكيفة غير مهتمين؟... "

خرج خالد بعد أن أكد احتجاجه على قبولهم تجاوز السيدة وعدم احترامهم وقت المواطنين .... نظر إليه أحدهم مستغربا وهو يضرب كفا بكف.

" -ماكان الداعي إلى كل هذه الضجة ؟ ماذا استفدنا من هذه المسرحية غير تعطيل أشغالنا والانتظار أكثر ؟"

وصاح الآخر...

"-لو كنت التزمت الصمت وتركت الأمور تمر لما اضطررنا إلى كل

هذا العطل... "
لينسل آخر من الصف فيسأله:
"- من أعطاك الحق لتتكلم باسمنا جميعا ؟ هكذا دائما حال الإدارات والوكالات في هذا البلد .. لم يستطع أحد أن يغير شيئا ، او يلزم الآخرين باحترام القانون ؟ اعتدنا على هذه المعاملات وهذه السلوكات وهذا الفساد.. "
هب الجميع ساخطا معاتبا ...وقف خالد مندهشا من ردة فعلهم ومن هجومهم عليه ...قال في نفسه متألما-"
" أسفي عليكم كيف حولوكم إلى مجرد أجساد تتحرك وهي ميتة ...أجساد تحمل معاناتها وهمومها على ظهرها صاغرة مذلولة ...كيف جعلكم الخوف تصمتون وأنتم ترون حقوقكم تسلب وكرامتكم تداس ووقتكم يضيع..؟."
ثم توجه إليهم باللوم والعتاب:
"-من قال إنكم ضحية استهتار أو فساد أو ظلم . ؟ إنكم والله تستحقون ما يفعل بكم...كيف تقبلون على أنفسكم أن يأخذ أحد -مهما كان- حقكم أمام أعينكم وأنتم صاغرون ؟ ...من يحنى ظهره يوما يصير مطية للجميع" ...ثم ترك الطابور غاضبا منهم ومن تخاذلهم وضعفهم وانصرف..

درس ... لا ينسى

لا أعرف لماذا كلما شدني الحنين إلى الماضي ،يظل عالم المدرسة بكل أحداثها ، أبرز ذكرياتي ...فكلما حاولت الغوص في ذلك العالم الجميل والأليم في نفس الوقت ، تقفز إلى ذاكرتي حادثة مشينة ، عشناها ذات يوم بين جدران هذه المدرسة ...كانت الحادثة بالنسبة لنا نحن تلميذات القسم في ذلك اليوم ، أكبر درس لنا، ولكنه ظل جرحا غائرا في نفسية صديقتي ...هي صورة من الصور الكثيرة التي حبلت بها الذاكرة ، وصارت علامة فارقة من هذا الماضي المدرسي البئيس الذي رافقنا حتى المشيب ، ما يدفعنا أحيانا إلى الوقوف عندها وطرح تساؤلات حول ما إذا كان لابد من معالجة خطإ طفلة صغيرة فقيرة ، بأسلوب بشع ،ومعاملتها معاملة مجرم خطير...

لا زلت كلما مررت بمحاذاة تلك المدرسة أو بالشارع حيث منزل صديقتي المذنبة و المجني عليها في نفس الوقت ، إلا و يمر شريط تلك الحادثة بكل تفاصيلها ،فأرق لحال الطفلة البريئة، وألعنني وألعن كل من شارك في إذلالها وإهانتها وجرحها ...لم يمر ذلك اليوم سهلا على كل تلميذات الفصل لبشاعة ما ذقناه من عنف ورعب على يد إحدى المربيات التي كنا نجمع على تسميتها آنذاك "بالرباطية..."

فبعد انتهاء فترة الاستراحة المسائية ،دخلنا الفصل ...أخذنا أماكننا ونحن نلهث متعبات من الجري واللعب ...انكببنا على كراريسنا، نتابع إنجاز تمارينا ...نحاول الوصول إلى النتيجة ،حتى نتفادى العقاب و الشتم ، بينما جلست المعلمة على مكتبها ،تتناول حبة برتقالة كبيرة وقطعة من الحلوى الشهية، بطريقة تستفز كل من تجرأ ونظر إليها ،وكان لعابنا يسيل وهي تلتهم في خبث قطعة الحلوى ، وحين نسرح بنظرنا مع المشهد الجميل و المستفز ،تصرخ في وجوهنا لتعيدنا إلى الواقع ،وكأنها كانت تتعمد استفزازنا بحركاتها تلك، فقط لتستمتع هي بمنظرنا ونحن نتلهف لقضمة من تلك الحلوى اللذيذة ، أو لقطعة من البرتقالة الشهية ...و كم كنا نتمنى أن نحظى بشرف سكب الماء على يديها حين تنتهي!...ثم تعود إلى مكتبها وهي تختال ، لتبدأ في ترتيب شعرها ، تحمل بين يديها مرآة صغيرة تنظر إليها من حين لآخر، لتصلح ما أُتلِف من زينتها قبل مغادرةالمدرسة .. فجأة،صرخت وهي تبحث بين أغراضها وتفرغ الحقيبة من محتوياتها ، ثم سألت في غضب مخيف.

"-من منكن دخلت إلى القسم خلال الاستراحة ؟ ومن عبثت بحقيبتي في غيابي ؟."

إنها الكارثة!! ،فحين تغضب "الرباطية" تكون الكارثة ...انتفضنا

من أماكننا وبدأنا- من فرط الخوف- نقسم أننا لم نقرب باب القسم ، وأن فلانة وفلانة و فلانة ، كن أحيانا يفتحن الباب ...صارت كل واحدة منا، تجتهد في الكذب لإبعاد التهمة عنها، وإلقائها على أخرى ...أحدثنا جلبة غير معتادة داخل القسم ، بينما تسمرت صديقتي في مكانها ،لم تحرك ساكنا ،صرنا جميعنا نحاول تبرئة أنفسنا من تهمة لم نعرف ماهي ...حملت مسطرتها الحديدية ، واتجهت نحونا تهددنا و تتوعدنا بأقصى العقوبات إن لم نعترف...علا الصراخ أكثر، وتحول إلى بكاء هستيري من كثرة الرعب الذي بثته فينا تهديداتها ...بدأت بتفتيش محافظنا وهي تزبد وترعد، وكلما انتهت من إحدانا ، تنهال عليها بالسب والشتم ...نظرت إلى صديقتي وأنا أرتجف حين أوشك دوري ، فإذا بصديقتي لا تزال متصلبة لا تحرك ساكنا ، ...عيناها مغمضتان ...يداها ترتجفان ، تكاد دقات قلبها تكشف سرها ...،لم يتوقف الحال عند هذا، بل بللت ملابسها من شدة الخوف إذا انكشف أمرها ...فجأة صاحت تلميذة من آخر الصف لتنبه المعلمة" أن صديقتي ثريا "بالت" ...أيقنت المعلمة لحظتها أنها الفاعلة ...هرعت نحوها وبدأت تفتش محفظتها وتشد شعرها بعنف ...تسحلها بقوة حتى تكاد تقع على الأرض،ثم ترفعها من جديد وهي تصرخ بين يديها مستغيثة ومتوسلة الرحمة والمغفرة ...

أحس بعضنا بالارتياح عندما كشفنا الفاعل ، خاصة حين أكدت تلميذة أنها شاهدتها وهي تتسلل إلى القسم ، مكثت لحظات ثم خرجت مسرعة، لنصيح جميعا مؤكدات :" نعم ..نعم.. إنها ثريا " لنثبت التهمة على ثريا ، دون أن تعرف إحدانا ماذا فعلت ثريا ...لكن ثريا كانت تعرف ...لا أدري لماذا أصرت المعلمة أن تكون صديقتي ثريا هي الفاعلة ، فلم تتركها إلا بعد أن فتشت كل جسدها...وكانت الكارثة ...إنها هي ... وهي تتلمس كل جسدها أحست بأن هناك ورقة مخبأة في لباسها الداخلي فأمرتها أن تسحبها لكن صديقتي ظلت تصر على صمتها ، وتصر أكثر، على أنها ليست هي ...أمرت المعلمة" تلميذتها المفضلة" أن تنزع من تحت لباسها الداخلي ورقة لمستها هناك ...هنا ،علا صراخ ثريا وهي تتوسل إليها أن تكف عن ضربها وتعدها بألا تعيدها ثانية ... ...كانت ورقة نقدية من فئة خمسين درهما مبللة ... وحينئذ ،سحبتها ،لتقف أمام السبورة ، ثم علقت على ظهرها وعلى صدرها ورقتين كتبت عليهما بخط عريض بارز،" أنا لصة" ...وأمرت تلميذتين أن تسحباها وراءهما لتقوم بجولة عبر الأقسام وهي تردد بصوتها -إجبارا- ماكتب على البطاقتين " أنا لصة " ، حتى يراها ويسمعها الجميع وتكون عبرة ... يحدث ذلك كله على مرآى ومسمع من المعلمين ...لم يفكر أحدهم أن يثنيها

عن هذا الفعل اللاتربوي الشنيع، أو يرق لحال الطفلة الصغيرة، وليت الأمر انتهى بين جدران المدرسة ، لكنه تعداه إلى خارج أسوارها ...فبعد أن دق الجرس كنا نظن أن الأمر انتهى وأن الدرس فهم والعبرة أخذت ، لكن معلمتنا الجليلة ، كان لها رأي آخر .لم يشف غليلها أن عرف الجميع أن صديقتي ثريا "لصة" ، ولم تثنها توسلاتها بالعفو والمغفرة، فقررت أن تزف الخبر إلى خارج المدرسة...تركت البطاقتين ملصقتين على ظهرها وصدرها ، وأمرتنا جميعا أن نزفها إلى منزلها بالصياح و التطبيل والسخرية ،وكان لها ما أمرت. فقد رافقنا جميعنا " التلميذة اللصة" إلى المنزل ، في موكب بشع ومخجل ...كبر الموكب حين تصادف مع جموع تلاميذ المدرسة المحاذية لمدرستنا ، إذاك علا الصراخ و كثر الهرج والمرج على طول الزقاق حيث تسكن ، وكل من مر بجانب الموكب و سأل عما يحدث ، نحكي له ونسهب في الحكي ، حتى صارت صديقتي نجمة الموسم ، وبطلة لقصة بئيسة ، كل ذلك يحدث وصديقتي تتوسط الموكب أو الزفة- كما أرادت المعلمة أن تسميها - منكسرة مطأطاة الرأس من شدة الألم والخجل ...لم نترك صديقتي إلا حين سلمناها إلى الأسرة في زفة لم تشهدها أعيننا من قبل ، ثم قفلنا راجعين...

يومها ، لم أنس صديقتي وهي تلتفت إلينا جميعا لترمينا

بنظرة مليئة بالحزن والحسرة ...كانت نظرة تكشف وطأة الجرح الذي ساهمنا بنصيبنا في تعميقه ...ودعتنا بعيون تغرق في دموع الخيبة والخذلان ، وكأنها تخبرنا أننا بهذه الفضيحة أمام الأهل والجيران، نكون قد شاركنا في حرمانها من متابعة دراستها إلى الأبد ، وربما نكون قد جنينا على مستقبلها كذلك...

الحقيقة أنه كان درسا ،لكنه كان درسا قاسيا و مدمرا ...درسا لا ينسى

اللقاء الأخير..

سعيد !... هو ذاك الشاب الذي كان يلقبه أصدقاؤه وغيهم بابن المليونير... يعيش حياة من الترف وسعة الحال ...كل طلباته كانت مجابة .. لا ينقصه شيء ليلتف حوله الجميع ، ويؤثر فيهم بدوره ...لكن لا أحد منهم كان يعرف أن هذا الأب "المليونير" لا يعرف عن حياة ابنه إلا القليل .. لم يشهد حبوه ولا أولى خطواته ولم يتعلق بيديه وهو يرافقه أول يوم إلى الروض...لم يعش خوف الأب وهو يقيس حرارته ...لم يذق مرارة القلق وهو ينتظر نتائجه ...لم يكن حاضرا حين دق قلبه أول مرة واحتاج إليه ليحدثه عن مشاعره ...لم يره وهو يكبر وينمو ...و قليلا ما كان يجالسه أو يرافقه حين كبر ...هذا الميليونير كان لا يأتي لزيارة أهل بيته إلا في مناسبات قليلة ... ظل فضولهم كبيرا في معرفة طبيعة عمل والده، وكلما سالوه ، يخبرهم أنه رجل أعمال،وأحيانا كثيرة، يغير الموضوع ويمازحهم ، " هل تريدون أن نتبادل الأماكن ؟...

كان السيد أحمد بنعاشور شخصية أنيقة ، رزينة ومتواضعة ، يثير كل من تعرف إليه ،لكن كانت تطرح على حياته الكثير من علامات استفهام ...يعرفه الناس بالمدينة أحد أثريائها؛ يعلن لمن حظي بلقاء معه أنه رجل عصامي مكافح ،بدأ بناءً بسيطا ،

وتعب وعانى حتى أنشأ مقاولة صغيرة ، وانطلق في مجال البناء حتى ذاع صيته بين مقاولي المدينة ، لا أحد يعرف شيئا عنه سوى أنه صاحب مقاولة للبناء بالجهة ، لكنه يعيش بمدينة أخرى ، بعيدا عن أهل بيته وعن مقاولته...

لم تكن الحياة عادلة أوسهلة مع السيد بنعاشور ، لكنه كان حريصا أن يهدي أبناءه والمحيطين به حياة سعيدة آمنة ومشرقة ...كانت بداخله مشاعر تجعله يحترق ، لينير حياة من يحبهم... يحول كل الآلام والجروح التي عاشها إلى لحظات من الجمال والسعادة وحب الحياة لدى أهله ...لم يترك لحياته الماضية والحاضرة فرصة لتؤثر على حياة أبنائه ...فضل أن يبعدهم عن هذا الماضي وهذه الحياة لكي يعيشوا في سلام وأمان ... هكذا ظلت حياته يكتنفها الغموض وتثير التساؤل و أحيانا بعض الشكوك ...

قرر سعد أن يعرف عمل والده بعد أن كثرت أسئلة أصدقائه وبعض الفضوليين ممن حوله ...كان كثيرا ما يعارض توقعاتهم و أحيانا يقف عاجزا أمام تساؤلاتهم ،لأنه لا يعرف عن هذا الأب غير كونه مصدرا للمال الذي يبدده بمناسبة او غير مناسبة ...فشل مرات كثيرة في معرفة الحقيقة من أمه التي ما كان يهمها غير ما ينفقه ببذخ لإرضائها، و تقبلها لغيابه، وتحملها

وحدها مسؤولية الأبناء ...فقد حاولت زينب -كزوجة - مرات عديدة،
معرفة طبيعة عمل زوجها، وسبب عدم اجتماعهم في المدينة التي يعمل بها ، إلا أنه كان كل مرة، يجد سببا مقنعا ليبقيها بعيدة ، و يضمن قبولها بهذا الوضع الغريب ..و في المقابل ،كان يغدق عليها بالأموال والهدايا ،ويزورهم أحيانا للوقوف على طلباتهم وعلى سير الأشغال بورش البناء التي عهد بها لابنه البكر هشام ...
بعد أيام من الغياب ، عاد محملا بالهدايا في سيارة فاخرة، فأسعد الأهل بزيارته... أقام لهم الولائم، و فرحوا بوجوده بينهم وبمساعداته لهم ... لكن شيئا بداخل سعد بدأ يتفاقم ...بدأت شكوكه تشتد، و يزداد إصرارا على كشف سر والده ،وكشف سبب هذا الغموض الذي يسيج به حياته ، وتهربه كلما حاولوا الحديث عن عمله وعن سبب بقائه بعيدا عن أهله ...
قبل توديعهم ،التفت ناحية هشام ، وشدد عليه في مراقبة إخوته ، وسلمه مفاتيح سيارته الجديدة لتلبية طلباتهم ، ثم كلفه بمراقبة سير العمل بورشات البناء أثناء غيابه ... وأكد عليه أن يتصل به كلما عنت مشكلة...
غادر المنزل في اتجاه المحطة ...ظل سعد يراقبه من بعيد،

حريصا ألا يراه ... ركبا القطار السريع في اتجاه الدار البيضاء ...عند وصولهما إلى المحطة ، أخذ الأب سيارة أجرة وتبعه سعد ...توقف الأب بباب فندق بسيط ،ثم دخل يحمل حقيبته ... اندهش سعد من غموض والده، كما أدهشه حذره وحرصه الشديدان كي لا يلفت الانتباه إليه... دفعه الفضول أن يطلب معلومات عن الزبون، لكنه لم يحظ بالمعلومات الكافية ، ثم خرج ينتظره بعيدا عن الفندق حتى لا ينتبه إليه ...بعد لحظات خرج رجل على هيأة والده ...لم يصدق الابن ما رأت عيناه ...فرك عينيه ليتأكد مما راى...ارتفعت نبضات قلبه ... شعر بالصدمة و الخيبة معا ...تساءل غير مصدق : " نعم ، هذا أبي ، لكن ماذا يحدث له ؟ ما الذي اضطره ليلبس مثل هذه الملابس ؟ أيكون هذا هو عمله الذي حرص أن يخفيه عن الجميع كل هذه السنين ؟ أيكون هذا سبب الغموض الذي لف به حياته وجعله يعيش بعيدا عن أهل بيته ؟"...خالجه شك ..." قد يكون مجرد شبه" ... ظل يراقبه من بعيد حريصا ألا ينتبه إليه...وفي كل مرة تسمح الفرصة برؤية وجهه ، تضطرب مفاصله ويهتز قلبه خوفا أن يكون والده ...يتمنى في كل خطوة أن تخطيء عيناه فيما ترى ...وكعادته كان الأب يلتفت يمينا وشمالا ، وأحيانا كثيرة ينظر خلفه ليطمئن ألا أحد يتعقبه ...فجاة، وجد نفسه وجها

لوجه مع ابنه سعد ... انهار العالم من حوله، وانهارت سنوات من التكتم والتستر..أخيرا انكشف سره ....كانت صدمة سعد فوق طاقته ...ظل فاغرا فمه أمام حقيقة والده ... حقيقة شلت تفكيره قبل أطرافه ...اختفت كل الوجوه من أمام عينيه إلا وجه أبيه و سره الحارق والمشين...لم يجرؤا على الكلام، لكنهما تبادلا فيما بينهما نظرات مرعبة ...لم يجد الأب بدا من مصارحة ابنه بالحقيقة كاملة...تنحنح بصوت متحشرج ...اقترب منه ليتأبط ذراعه عساه يصلح شيئا من الموقف ،لكن سعدا - من هول الصدمة- أفلت من قبضته بعنف... أخذ يتراجع إلى الخلف شيئا فشيئا وقد بدا على ملامحه ألف سؤال ...فجأة انطلق يعدو هائما كالمجنون وهو يصرخ "مستحيل أن يكون هذا أبي"...شعر الأب بالألم لحال ابنه...

ظل بنعاشور طول اليوم تائها يفكر كيف سيعيد صورة الأب المحترم النظيف إلى عيني ابنه... كيف سيقنع ابنه بأن ما رآه هو الحقيقة ، وقد تؤلمه ، و لكن لا ينبغي أن تؤثر على مكانته في قلبه .. "مهما كنت ،فأنا أظل أباه الذي يحبه ..."

عاد إلى الفندق ليلا مخمورا يتآكله الألم ...لم ينتبه إلى ابنه الذي ظل ينتظر لقاءه مرة أخرى في ردهة الفندق ...ارتمى على سريره ثم استسلم لنوم عميق...

استفاق بنعاشور على ضجة خارج الفندق ..أصوات عالية ،وحركة غير عادية داخله ...لم يهتم لذلك أول الأمر، لكن الصخب زاد وتعالت الأصوات أكثر ، فدفعه الفضول أن يطل من النافذة ويسأل، إلا أن وجود سيارة الإسعاف وسيارة الشرطة زاد من فضوله أكثر فأكثر ....خرج من الغرفة يستفسر الخدم ، ليخبروه أن شابا نزل ليلا بالفندق ،وهذا الصباح ، تم العثور عليه منتحرا في غرفته ... اهتز بنعاشور للخبر ...شيء بداخله اضطرب وكاد يفقده توازنه... توجه ناحية غرفة الحادث بخطوات متثاقلة ،مقبلا مدبرا من شدة القلق والخوف اللذين استبدا بقلبه فجأة ، لتقع عيناه أخيرا على جثة ابنه سعد ملقاة على الأرض، يحمل سر والده في قلبه حتى يدفن معه.

الفهرس

الاهداء. 3
كلمة شكر 4
تقديم 5
عشيقة شرعية 7
سقط القناع 11
طوق و اساور 17
الحقيقة الغائبة 22
رقصة الموت الأخيرة ....,.....27
بين أيد أمينة 35
على خط الانطلاق 40
لازلت حيت...46
عالم ... ليس لي 51
متقاعد... 59
زنزانة الحرية... 62
في حينا غريب عزب 68
القرار الصعب 71
رحيل 75
غسالة كهربائية 78
حايك مي الباتول 81
عنف الزهور.. 83
بقايا حب 88
نصف حياة... 92
حتى آخر النفس ....,.....96
فرحة العيد ....,,......... 102
دموع ... ونصف ابتسامة... 107
أول أيام الخريف 113
حين تقرع الأجراس 117
البحث عن حياة 122
عند الإشارة تكون الساعة 125
العائدون إلى الموت 132
طوابير الخوف.. 138
اللقاء الأخير 148
الفهرس 154